فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

٢٠ ذي القعدة ١٣٤١ — ٢١ السرطان (ص ٢) سنة ١٣٠٢ هش ١٤ يوليه ١٩٢٣

استطراد في بيان بعض نعم الله على الخلق بالهواء والرياح

الهواء جسم لطيف مما يعبر عنه علماء الكيمياء بالغاز لا لون له ولا رائحة مركب تركيبا مزجيا من عنصرين غازيين أصليين يسمون احدهما (الأكسجين) وخاصته توليد الاحتراق والاشتعال وإحداث الصدأ في المعادن وهو سبب حياة الأحياء كلها من نبات وحيوان وانسان . وثانيهما (الازوت — او النيتروجين) وهو اخف عناصر المادة وزنا وسيأتي ذكر بعض خواصه ، ومن عناصر اخرى (كالايدروجين) وهو المولد للماء (وحمض الكربون) وهو اصل مادة الفحم وغازه السام (والهليوم والنيون والكريتون) وهي عناصر اكتشفت من عهد قريب . وتكثر فيه انواع الغازات والابخرة التي تنفصل من مواد الارض وتختلف كثرة هذه المواد وقلتها باختلاف القرب والبعد من الارض ، وهو محيط بالارض الى مسافة ٣٠٠ كيلومتر بالتقريب

يسمون الهواء عنصر الحياة فلولاه لم توجد الحياة الحيوانية ولا النباتية على هذه الارض ، فالانسان وسائر أنواع الحيوان تستنشق الهواء فيطهر ما فيه من

الاوكسجين دماءها من الكربون السام فيخرج بالتنفس الى الجو فيتغذى به النبات ولو احتبس ما يتولد في دم الحيوان من السموم الآلية في صدره لأماته مسموما كما يموت الغريق بعدم دخول الهواء في رئتيه فمثله في ذلك كمثل مصباح زيت البترول الذي عد اكسجين الهواء اشتعاله، ألم تر انك اذا وضعت على فوهة زجاجة المصباح غطاء محكما ينطفيء نوره سريعا ؟ ولا يستثنى من ذلك الحيوانات المائية كالسمك فان الهواء الذي يخالط الماء كاف لها

والنبات يمتص الكربون السام من الهواء فيتغذى به كما تقدم ويدع الاكسجين للحيوان ، فكل منهما يأخذ حظه ، ويفيد في الحياة صنوه ، كما قلنا في المقصورة :

والباسقات رفعت أكفها تستنزل الغيث وتطلب الندى[1]
تمتلج الكربون من ضرع الهوا تؤثرنا بالاكسجين المنتقى[2]

وكذلك الهواء الذي يتخلل الارض يساعد جذور النبات على امتصاصها الغذاء من التراب

ثم ان السموم التي تتولد في البدن تخرج [illegible] [illegible] [illegible] منها من مسامه بخارا اوعرقا فيمتصها الهواء ويدفعها الى الجو الواسع ولو انسدت مسام البدن لما كان الهواء الذي يدخل الرئتين كافيا لوقاية الانسان والحيوان من ميتة التسمم،

ومن منافع الهواء التي يغفل اكثر الناس عن شكر الرب عليها تطهيره سطح الارض التي نعيش عليها من الرطوبات القذرة وما يتولد فيها من جنة الاحياء الضارة « ميكروبات الامراض » فهو يمتصها ويدفعها في هذا الجو العظيم فيتفرق شملها وتزول قوة اجتماعها وقد تموت محترقة بأشعة الشمس فيه وينبغي اتقاء الغبار الذي يحملها فقد ورد في الحديث « تنكبوا الغبار فان منه النسمة » وهي ذات النفس الحية بل لولا الهواء لتعذر أن يجف ثوب غسل بل لكانت الارض مغمورة بالماء اذا أمكن ان يوجد الماء بغير الهواء ، والعلاقة بينهما معروفة فكل منهما مزدوج بالآخر فالهواء المجاور للارض فيه كثير من بخار الماء وهو يقل فيه ويكثر بحسب بعده عن البحار والانهار

---

(١) أي ان الاشجار الباسقة — وكذا الواطئة — من اسباب حدوث المطر والندي الجو فاستعير الطلب للسبب (٢) الامتلاج الارتضاع وهو استعارة ايضا

وقربه منها ، ومما اثبته علماء الكون المتأخرون أن بخار الماء وان كان يقل في الطبقات العليا من الجو كتقل الجبال وما فوقها فان عنصر (الايدروجين) وهو المولد للماء يكثر كثرة عظيمة في اعلى كرة الهواء ويقل الأكسجين في طبقات الجو العليا ويكثر بجوار الارض لثقله النوعي فهو اثقل من صنوه النتروجين وذلك من لطف الله وحكمته

ومن المعروف عندهم ان الهواء يتحول بشدة البرد والضغط الى ماء ثم الى جليد — كما ان الماء يتبخر بالحرارة حتى يكون هواء أو كالهواء في لطافته وعدم رؤيته وقد كان المتقدمون يحسبونهما شيئاً واحداً ، وعلماء العرب فرقوا بين بخار الماء وكرة الهواء ولكن اسم البخار في لغتهم يشمل كل المواد اللطيفة التى تصعد في جو السماء التي يسميها العلماء في هذا العصر «الغازات»

والمشهور ان في الهواء من حيث حجمه لاثقله ٢١ جزءا في المئة من الأكسجين و ٨٧ في المئة من النيتروجين وواحدا في المئة من الارغون ، وهذه النسبة تكون هي الغالبة في الهواء المجاور للارض وهي ضرورية لحياة اكثر الاحياء [illegible] الأكسجين زيادة كبيرة او نقص مما هو عليه لم [illegible] حياة الاحياء [illegible] تصير نارا محرقة وسما زعافا . فكون النيتروجين يزيد على ثلاثة ارباع الأوكسجين في حجم الهواء ضروري لتعديله وجعله صالحا لذلك ،

والنيتروجين ضروري للحياة ايضا وان لم يكن هو صالحا للحياة فهو اذا وضع فيه حيوان أو نبات لم يلبث ان يموت على انه غير سام — وضرورته للحياة من حيث تعديله للأكسجين ومنعه من الطغيان ومن حيث هو في ذاته ركن من اركان الغذاء للحيوانات ولا سيا العليا منها واعلاها الانسان فاذا خلا طعامها من المادة النيتروجينية لم يكف لحياتها به .

والنيتروجين يوجد في اجسام النبات كما يوجد في لحم الحيوان وبيضه ولبنه وهو الاصل فيه ، والنبات يأخذه من الارض ، وسائر غذاء الحيوانات من المواد النباتية ومعظمها من الكربون وهو يأخذها من الارض ومن امتصاصه لغاز الحامض الكربوني من الهواء . فهذا الغاز على شدة ضرره وقوة سمه في الهواء لمن يستنشقه لابدله منه في ركن المعيشة الاعظم وهو النبات

اذا كثر هذا الحامض في الهواء فصار واحدا في المئة كان ضارا فاذا زاد على ذلك حتى صار ١٠ في المائة صار شديد الخطر على الانسان والحيوان. وهو يكثر في المباني التي يكثر فيها الناس بخروجه من انفاسهم والتي تكثر فيها السرج والمصابيح الزيتية والغازية وكذا الشموع فانها تولده باحتراقها فاذا لم تكن فيها نوافذ متقابلة يدخل الهواء من بعضها ويخرج من الآخر فان هواءها يفسد به ويتسمم من فيها. وقد قال علماء هذا الشأن ان الانسان يحتاج الى اكثر من ١٦ مترا مكعبا من الهواء في الساعة وهو ينفث في كل ساعة ٢٢ لترا من هذا الغاز السام فينبغي ان يتقي جميع الناس الاجتماع ونوم الكثيرين في البيوت التي لا يتخللها الهواء ولا سيما اذا كان فيها مصابيح موقدة وان يحذروا من وقود الفحم فيها في ايام البرد فانه سبب مطرد للاختناق كما ثبت علما وتجربة ، الا اذا وضع في البيت بعد أن تم اشتعاله وذهب غازه في الهواء فلم يبق له رائحة ولا شيء من السواد

علمنا من هذا ان الخالق الحكيم قد جعل الهواء مركبا من المواد الضرورية لحياة الاحياء كلها وجعل النسبة بين اجزائه في كل من الحجم والثقل مناسبة لما يحتاج اليه كل جنس ونوع من النبات والحيوان فاذا نقص احدها بتصرف هذه الاحياء فيه بالتغذي والاستنشاق والنفث بما من شأنه ان يوقع اختلالا وتفاوتا في هذه النسبة كان له من سنن الله تعالى ما يعيد اليه اعتداله ويحفظه له كتأثير اشعة الشمس في ورق النبات الاخضر وتأثير تموج البحار في توليد الاكسجين ، وحمل الرياح له الى الصحاري البعيدة عن الماء الخالية من الاشجار

تستفيد جميع انواع النبات والحيوان من الهواء بفطرتها فلا تحتاج الى علم كسبي ولا الى عمل صناعي تهتدي بهما الى التزام منافعه واتقاء مضاره الا الانسان فانه وهو سيد هذه الموجودات بما خلق مستعدا له من اكتساب العلوم وإتقان الاعمال الى غير حد يعرف — هو المحتاج الى العلم الواسع والعمل المبني على العلم لاجل ذلك ، وكلما اتسع علمه ودقت صناعته صار اشد حاجة الى العلم والصناعة ، فأهل البداوة أقل حاجة الى ذلك من اهل الحضارة لانهم أقرب الى حياة الفطرة وأقل جناية عليها من أهل الحضارة في اغذيتهم ومساكنهم

يبني اهل الحضارة الدور فيجعلون في كل دار بيوتا كثيرة ومرافق مختلفة فاذا لم يراعوا فيها تخلل الهواء ونور الشمس لهافسد هواؤها ، وكثرت فيها جنة الامراض والادواء التي تفتك بأهلها ، ثم انهم يحتاجون في جملة مايقيمون فيها من الدور والدكاكين والمعامل والمدارس والثكنات للسكن والاعمال العامة والتجارة والصناعة والتعليم والجند التي يسمى مجموعها المدينة الى مثل مايراعى في كل دار من قوانين الصحة كسعة الشوارع والجواد العامة وما يتفرع منها من التواشط الخاصة بطائفة من السكان بحيث يكون الانتفاع بالهواء والشمس عاما ، وينبغي ان يكون للمدينة الكبيرة حدائق وبساتين واسعة مباحة لجميع اهلها لما اشرنا اليه من حاجة الانسان والحيوان الى الشجر في اعتدال الهواء وليختلف اليها الناس عند ارادة الاستراحة من الاعمال، واحوجهم اليها الاطفال ، يتفيئون ظلالها ، ويستنشقون هواءها النقي المنعش . فان قصروا في هذا انتابت الامراض من يقيمون في الدور التي لايطهرها الهواء والشمس ثم تسري الى من يخالطهم من سائر طبقات السكان

وخير الهواء المعتدل بين الحرارة والبرودة، والجفاف والرطوبة، ومن فوائد الحار إفراز العرق من الجلد وهو مطهر لباطن البدن كتطهير الحمام لظاهره بما يخرج معه من الفضلات المميتة والمواد السامة ، فهذه الفائدة توازي ضرره في عسر التنفس وقلة ما يدخل معه في الرئة من الاكسجين وقلة ما يخرج منها من الكربون السام ، وفي ضعف الهضم واسترخاء الجسم

ومن فوائد البارد تشديد الاعصاب وتنشيط الجسم وهو يحدث حرارة في الباطن بكثرة ما يدخل معه من الاكسجين في الجوف وهو مولد الحرارة والاشتعال فيحتاج الى كثرة الوقود الذي يحرقه وهو الغذاء ولذلك يكثر الاكل ويقوى الهضم في الجو البارد وتشتد الحاجة فيه الى الحركة والعمل لدفع الدم الى الشرايين التي في ظاهر الجسم لتدفئتها ، فهو يفيد الاقوياء الاصحاء ويضر الضعفاء والمصابين ببعض الامراض الصدرية وغيرها

فعلم من هذا انه ينبغي تخفيف الطعام في زمن الحر واجتناب الاكثار من اللحم ولاسيما الاحمر منه ومن الحلوى والادهان، وجعل معظم الغذاء من البقول والفاكهة

ومن حكم الله تعالى ولطف تدبيره في الهواء وفي اختلاف بقاع الارض في الحر والبرد ما يحدثه هذا الاختلاف من الرياح وما لها من المنافع للاحياء ولا سيما الناس

فن سننه تعالى في نظام الكون ان الحرارة تمدد الاجسام فيخف وزنها ، وان المائعات والابخرة والغازات منها يعلو ما خف منها على ما ثقل ، فاذا وضع ماء وزيت في اناء يكون الزيت في اعلاه وان وضع اولا والماء في اسفله وان وضع آخراً لان الزيت أخف من الماء، والماء السخن يكون في أعلا الاناء والبارد في أسفله ، ومتى سخن كله يكون أعلاه أشد حرارة من أسفله. فعلى هذه السنة اذا سخن الهواء المجاور للارض بحرارتها لايلبث ان يرتفع في الجو ويحل محله هواء ابرد منه لحفظ التوازن (ماترى في خلق الرحمن من تفاوت) وهذا هو الاصل في حدوث الرياح

ومن المعلوم أن حرارة الارض تكون على اشدها في خط الاستواء وهو وسط عرض الارض [illegible] تكون أشعة الشمس عمودية فيكون تأثير حرارتها في الارض [illegible] ويتناقص تأثيرها في جهتي الشمال والجنوب حيث تقع الاشعة مائلة بقدر هذا الميل فتكون الحرارة معتدلة ثم تكون باردة حتى تصل في منطقتي القطبين الى درجة الجليد الدائم لقلة ما يصيبها من شعاع الشمس مائلا في الافق لا تأثير له في الارض ، فهنالك تكون سنتنا يوما واحداً نصفه ليل ونصفه نهار ، وليل كل من ناحيتي القطبين نهار الآخر. وتحديد أمثال هذه المسائل كلها موضعه علم (الجغرافية الطبيعية أو الرياضية) ولاختلاف درجات الحرارة في كل قطر أسباب غير القرب من خط الاستواء والبعد عنه أهمها الجبال والانجاد والاغوار ، والقرب أو البعد من البحار ،

لولا حركة الهواء وحدوث الرياح بما ذكرنا لازدادت حرارة البقاع الحارة سنة بعد سنة حتى تكون محرقة لكل شيء فيها ولازداد قرّ البقاع البارده حتى ييبس كل حي فيها فيكون جليداً كما يحصل لاسماك الانهار والبحار الشمالية التي تجمد في فصل الشتاء حتى اذا ما عادت مياهها الى سيلانها في فصل الصيف لانت تلك الاسماك وعادت اليها الحركة وسائر خواص الحياة

بالرياح يتنفع جو كل من البلاد الحارة والبلاد الباردة من جو الآخر بما في كل منهما من الخواص والمزايا التي أشرنا الى المهم منها، فبارتفاع هواء المنطقة الاستوائية الحار لخفته وانخفاض هواء القطبين لثقله يحدث في كل من نصفي كرة الارض تياران هوائيان بين وسط الارض وطرفيها — كما يحدث في جو كل قطر على حدة ، فان الحر يشتد عندنا عصر من الضحوة الكبرى الى وقت الاصيل أو الى الليل فيرتفع ويأتي بدله هواء معتدل لطيف من جو نا نفسه كما تقدم — واذا استمر الحر الشديد عدة أيام يخلفه هواء بارد معتدل أياما أخرى ، وهو في الغالب يكون من الاقطار المجاورة لنا — فكلما كانت حركة الريح شديدة كان مداها أبعد. وأقل حركة في الهواء تريك كيف يعدل الجو ما يمكنك أن تختبره في حجرتك اذا فتحت نافذة فيها وأخذت شمعة أو ذبالة فتيلة موقدة فوضعتها في أعلى النافذة مرة وفي أسفلها أخرى فانك ترى النور في أسفلها مائلا يتحرك وفي أعلاها مائلا عنك الى خارج الحجرة لان الهواء الحار الذي في الحجرة [illegible] من أعلاها ويدخل بدله هواء الجو الذي هو أبرد من هواء الحجرة [illegible] يكون الهواء الخارجي أشد حرارة من هواء البيوت في [illegible] الريح السموم. وبهذه القاعدة يعرف سبب اختلاف النسيم وهبوب الريح في سواحل البلاد الحارة تارة من البر كوقت الليل وتارة من البحر واكثره في النهار وذلك ان الماء أقل تأثرا بحرارة الشمس من الارض ولاسيما الرملية والحجرية

هـذا وإن للرياح في اتجاهها بين خط الاستواء والقطب جنوباً وشمالا وفيما بينهما شرقا وغربا أسباباً معروفة كما أن لقوة الرياح في البحار والاقطار أوقاتاً تختلف باختلاف مواقعها من الارض كالرياح الموسمية التي تشتد في فصل الصيف في المحيط الهندي حيث تكون البحار الشمالية وكذا البحر المتوسط رهوا أو معتدلة الاضطراب تبعا لسكون الريح واعتدالها

وجملة القول إن أسباب حركة الهواء وهبوب الرياح وكون أصل المنتظم منها أربعاً ومنه ما يسمونه الرياح التجارية المواتية والمضادة أو العكسية والرياح الموسمية — كل تلك الاسباب — معروفة للبشر في الجملة تبعا لعلمهم بسنن الله في الحرارة والبرودة وبهيئة الارض وحركتها وفصولها ، ولكن

هذا العلم إجمالي فلا يعلم أحد من البشر متى تهب الريح في بلاده ومتى تسكن ومتى يشتد الحر في أيام شهور الصيف والبرد في ايام شهور الشتاء بالنسبة الى سائر الايام

ومن أعظم فوائد الرياح نقلها لمادة اللقاح من ذكور النبات الى اناثه ، فان من الشجر ما هو ذكر ومنها ما هو أنثى كالنخل فوظيفة الاول تلقيح الآخر وهذا إنما يثمر بتلقيح ذاك له ولا يثمر بغير تلقيح ، واذا أجيد التلقيح كان سبباً لجودة الثمر والا فلا ، ومنها ما تشتمل كل شجرة منه على أعضاء الذكورة الملقحة وأعضاء الانوثة المثمرة . والرياح تنقل اللقاح فيما لا تتصل ذكوره باناثه نقلا تاما أو ناقصا . قال الله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح) ولما نزلت هذه الآية لم يكن أحد من الناس يعلم هذه الحقيقة أي لم ينقل ذلك عن أحد منهم ، ولذلك جعل بعض المفسرين اللقح هنا مجازيا بتشبيه تأثير الرياح في السحاب ذلك التأثير الذي يتولد منه المطر بتأثير اللقاح في الحيوان وكونه سببا للحمل والنتاج

وأما منافع الرياح في احداث المطر فقد سبق بيانه في تفسير الآية التي جعلنا هذا الاستطراد متمما له وهي في نعم الله على خلقه بها والمطر هو الاصل مياه الانهار والينابيع والآبار كما قال تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض) والماء مركب من عنصري الاكسجين والادرجين ويخالطه ماء المطر منه وهو أنقاه بعض ما يحمله الهواء من العناصر ومن المواد المنفصلة من الارض وعوالمها ، ومياه الارض يخالطها كثير من موادها وبعضها ضار وبعضها نافع ، ولذلك يفضل بعض المياه بعضا حتى ان بعضها ينقل في القوارير من قطر الى أقطار أخرى ويباع فيها بأغلى ثمن للشرب . ومنها المياه المعدنية المسهلة والنافعة لبعض الامراض دون بعض

وخلاصة القول أن الهواء والماء وسنن الله تعالى في حركتهما وانتقالهما هما الاصلان لحياة جميع الاحياء ، والحرارة والنور فيهما ما علمت ، فهذه الاشياء أغلى من الذهب والفضة والجواهر الكريمة كلها ، وكان من رحمة الله تعالى أن جعلها عامة مبذولة لا يمكن احتكارها ، وانما ذكرنا من منافعها ما يسهل على كل قارىء للمنار أن يفهمه ، والا فان لها من المنافع والفوائد ما لا يعرفه الا أساطين علماء الكيمياء وهم لا يزالون يزدادون بها علما . وهذا مصداق لقوله تعالى (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

فتاوى المنار

التصرف في الكون

(وحكم من ادعى ان الله اعطى حق التصرف في ملكه للسيد البدوي)

(س ٢١)

جاء في عدد جريدة الاهرام التي صدرت في ٢٤ ذى القعدة و٩ يوليو تحت عنوان « افتونا برأيكم » رسالة من مراسلها في بركة السبع هذا نصها

« حدث امس في جامع الديانة نزاع بين المصلين سببه أن امام البلدة عند الصلاة في خطبة الجمعة قال ان الله سبحانه وتعالى أعطى السيد احمد البدوي حق التصرف على العالم

« فقاطعه استاذ آخر وقال له انه كاذب اذ انه طبقا لشريعة الاسلام لا يكون لله شريك

« فترتب على ذلك قطع الصلاة بضع دقائق حصل في اثنائها نزاع بين المصلين ولما وصل ضابط بوليس بركة السبع افهمهم ان المسألة دينية لا تستلزم الا الاستفتاء وتمكن من اصلاح ذات البين بين الاستاذين فلتحقق حضرته ذات الحاضرين . فما رأي اصحاب الفضيلة العلماء في هذا الخلاف في الرأي اه

وقد طلب منا بعض علماء الازهر وغيرهم أن نجيب عن هذا السؤال فنقول و بالله التوفيق ونسأله الهداية للصواب

الجواب

المراد بالتصرف في الكون ان الله تعالى قد وكل أمور العالم الى بعض

الصالحين، من الاحياء والميتين فهم يفعلون في الكون ما شاؤا بالخوارق لا بالاسباب المشتركة العامة من بسط الرزق لبعض الناس وقدره أي تضييقه على بعض . ومن شفاء المرضى، واحياء الموتى واماتة بعض الاصحاء الذين ينكرون عليهم أو الذين يستعديهم عليهم بعض زوارهم ، والمتقربين بالنذور والهدايا لاضرحتهم . وغير ذلك من أمور الناس وامور الكون كالرياح والبحار والجبال والحيوان والنبات . كما حكي عن بعضهم انه مد رجله مرة وقال: ان سفينة خرقت في البحر واشرفت على الغرق فاستغاث به بعض راكبيها فمد رجله وسد بها ذلك الخرق ، وذكروا ان ذلك المستغيث رأى عقب استغاثته رجل الشيخ قد سدت ذلك الخرق ونجت السفينة

وسمعت مرة امرأة تستغيث بالمتبولي وتستغيث به بوجد وجؤار تستعديه على رجل آذاها « يحيله عليه » لينتقم منه . فقلت لها لماذا لم تطلبي من الرب تعالى ان يجازيه ؟ فقالت ما معناه ان الله عزوجل والمتبولي لا يعجل ، واستدلت على ذلك بان رجلا سرق فسيخة فأحال عليه صاحبها المتبولي فأعماه الله جزاء اياها

وأمثال هذه الحكايات عنهم كثيرة جدا لعله لا يوجد أحد لم يسمع منها ما لم يسمعه غيره ، دع ما يتداوله الكثيرون في كل بلد وكل جيل مما يعدونه متواترا ، وما المتواتر الا نقل الكثيرين عن المفتري الاول الذي اختلق الحكاية أو تخيلها أو توهمها فقصها وتناقلها عنه امثاله

وليست هذه الحكايات كلها من مفتريات العوام الاميين ومن هم على مقربة منهم في قبول الاوهام والخرافات ، بل تجد كتب المتصوفة محشوة بها لانها ادخلت في عقائدنا الملة من أبواب ما يسمونه كرامات الاولياء، وهي تكثر في المسلمين على نسبة اعراضهم عن الدين علما وعملا ، فالمنقول عن الصحابة (رض) وهم خير هذه الامة باجماع أهلها تبعا للنص على ذلك من النبي (ص) قليل جدا وأقله ما روي باسناد آحادي قوي ، وليس فيه شيء قطعي ، وما روي عن التابعين أكثر ولكنه لا يعد شيئا يذكر في عدده ولا في نوعه بالنسبة الى ما اختلق

في القرون الوسطى وتسلسل الى هذا العصر

في بعض كتب الرفاعية أن الشيخ أحمد الرفاعي : كان يفقر ويغني ، ويسعد ويشقي ، ويميت ويحيي — أي وان حصر القرآن مثل هذا في عمل الخالق بقوله (وانه هو أغنى وأقنى ، وانه هو أمات وأحيا) وانه وصل الى درجة صارت السموات السبع في رجله كالخلخال ، وان الله تعالى وعده بان من لمسه لا تحرقه النار في الدنيا ولا في الآخرة وان هذا له ولمريديه وأتباعه الى يوم القيامة. وذكروا أن سبب اخباره اياهم بهذه « الكرامة » أنه كان قد لمس سمكة حية فوضعوها بعد لمسه اياها على النار لشيها فلم تؤثر فيها النار فسألوه عن سبب ذلك فذكره

وفي بعض كتب مناقب الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه الله تعالى ان مريداً له مات فطلبت امه منه احياءه فطلب روحه من ملك الموت فأجابه بأنه لا يعطيه الا باذن من الله تعالى وكان ملك الموت قد جمع الارواح التي قبضها يومئذ في زنبيل وطار بها الى السماء ليستأذن الرب ماذا يعمل بها فطار الشيخ عبد القادر في أثره وجذب الزنبيل منه واخذ روح مريده فتناثرت منه جميع الارواح فذهب كل روح الى جسده فحيي جميع من مات في ذلك اليوم كرامة للشيخ عبد القادر . ولا اذكر هنا ماقاله مفتري الحكاية في شكوى ملك الموت لربه تعالى من اعتداء الشيخ عليه « في حال التلبس باداء وظيفته » - كما يقال في اصطلاح اهل هذا العصر - وما افتروا على الله تعالى في جوابه - لا اذكره أدبا مع الرب عز وجل وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

وقد شاع بين الناس ان الاقطاب الاربعة المتصرفين أو « المتركزين بالكون » كما يقولون هم السادة الجيلاني والرفاعي والبدوي والدسوقي فلا يجري في العالم العلوي ولا السفلي شيء الا بتصرفهم ، وعلى هذا يكون سائر المتصرفين في الكون عمالا أو جندا لهم

ماذا كان من تأثير فشو هذا الاعتقاد في المسلمين ؟ إن ألوف الالوف منهم

باتوا لا يعنون أقل عناية بشؤون أمتهم العامة، ولا بشؤون أنفسهم الصحية ولا الدينية ولا الاجتماعية الا ما تقتضيه الضرورة والعادة من القيام بضروريات المعاش والقناعة منه بأخسه لان كل ما عدا ذلك موكول الى اولئك الميتين فاذا وقع أحدهم في شدة أو مرض أو حاجة استغاث بأحد المدبّرين بالكون أو أحد أعوانهم وجندهم من المشايخ الميتين لينقذه من شدته او يشفيه هو أو ولده من مرضه أو ينتقم له من عدوه أو .. أو .. واذا عظم الخطب يتقرب اليه بعجل أو خروف ينذره له ، واذا أبطأت الاغاثة يشد رحله الى قبره ويستنجده بالقرب منه مع اعتقاده ان القرب عنده كالبعد في إحاطة علمه بالغيوب كاحاطة قدرته بالعالم ، ولذلك يقولون للولي عند قبره : « ياسيدي العارف لا يعرّف » وقد صح عندنا ان بعض اصحاب العمائم الكبرى يقولون [illegible] ، ومن المروي في الكتب عن الجيلي انه متصرف في اثني عشر عالما احاط بالسموات والارض واحد منها

وناهيكم بشد الرحال الى احتفالات الموالد التي تتخذ أعياداً ومواسم دينية لهم ، واجتماع مئات الالوف من الرجال والنساء والاطفال في كل مولد يقام لهؤلاء المتصرفين في الكون الذين يقضون مصالح الناس في الدنيا وينجونهم من عذاب الله في الآخرة مهما تكن جرائمهم وفواحشهم ، ومن المشهور الذي يكاد يبلغ درجة التواتر أن المعسرين منهم يقترضون الاموال بالربا الفاحش لاجل انفاقها في المولد ، على أن الكثيرين من هؤلاء الذين يسخون بالالوف في هذه السبيل وان رهنوا في ضمان قروضها أطيانهم أشحة بخلاء ، ربما يقتل أحدهم أخاه أو أباه لاجل جاموسة أو مال قليل

هذا تذكير وجيز بمعنى التصرف في الكون وماله من سوء التأثير في افساد الدين والدنيا ـ ونجد رجال الشرع يشاركون رجال الطرق المنسوبة الى الصوفية في اقامة هذه الموالد وحضور دعواتها ، وأكل نذورها ، حتى ما كان مسيبا للسيد البدوي من العجول والخرفان ، كالسوائب التي كانت تسيب للاصنام ، ولا يرون في هذا حرجا ولا افسادا ، لانه داخل عندهم في باب كرامات الاولياء

الواسع الذي لاحد له » وقد قال صاحب الجوهرة تبعا لغيره من مؤلفي العقائد رضي الله عنهم وارضاهم

وأثبتن للاوليا الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه

كما أن منكرات القبور التي تعد بالعشرات والمئات في بنائها ووضع السرج عليها واتخاذها مساجد وتشييدها وما فيها من مفاسد اجتماع النساء والرجال والاطفال كل ذلك يقرر ولا ينهى عن شيء منه لانه يدخل في باب ما ورد من استحباب زيارة القبور للرجال لاجل تذكر الموت والآخرة فالامر المستحب الواحد يرتكب لاجله مالا يعد من كبائر المعاصي التي لعن الشارع مرتكبيها كمتخذي القبور مساجد وواضعي السرج عليها وزيارة النساء لها وغير ذلك مما وردت فيه الاحاديث الصحيحة

اعطاء الله حق التصرف في ملكه للبدوي

بعد هذا أقول كلامي في موضوع السؤال وأقفي عليه بكلمة في الكرامات:

موضوع السؤال زعم ذلك الخطيب أن الله تعالى قد أعطى السيد أحمد البدوي الميت صاحب القبر المشهور في طنطا حق التصرف في ملكه العزيز

ليست هذه المسألة مسألة جواز الكرامات ووقوعها وما فيها من خلاف لا يعد من أصول الدين وعقائده ولا من فروعه ، بل هي مسألة تتعلق بأصول عقائد الدين لانها اسناد شيء الى الله تعالى لا يمكن العلم به إلا منه عز وجل ، وقد انقطع الوحي عنه تعالى بموت خاتم النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، ولا طريق للعلم الصحيح عنه تعالى غير الوحي ، وقد قال تعالى في بيان أصول كبائر الكفر والفسق (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون)

بين بعض المحققين ان هذه المحرمات في دين الله تعالى على ألسنة جميع رسله قد ذكرت على طريقة الترقي في الحظر من المعاصي القاصرة الى المتعدية

كالبغي على الناس ، ومن الكفر القاصر على صاحبه كالشرك الى المتعدى الضرر كالقول على الله بغير علم ، فانه أصل جميع الفساد في الدين وجميع البدع

والقول على الله بغير علم قسمان أحدهما خاص بالعقائد كالكلام في ذاته وصفاته وأفعاله ومنه نازلة الفتوى ، ومثاله القول باتخاذ الولد قال تعالى (١٠: ٦٨) وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ـ سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض، ان عندكم من سلطان بهذا . أتقولون على الله ما لا تعلمون) نفى أن يكون عندهم سلطان — أي برهان قطعي — على هذا القول ووبخهم ان قالوا على الله ما لا يعلمون، بعد أن بين البرهان على بطلان قولهم بانه هو الغني الكامل غناه المطلق وبأن ما في السموات والارض أي العالم كله ملك له ، وهذا عين البرهان على بطلان اتخاذ اناس يتصرفون في ملكه ، ومن اصول المناظرة أن البينة على المدعي ويكفي المنكر المنع ، ولكن القرآن هداية لا جدل ، ولذلك بين بطلان الدعوى في نفسها بالدليل ، وبين أنه لا دليل عليها وان مثلها لا يصح أن يقال بالظن والوهم وإنما يطلب فيه العلم القطعي ، كما قال تعالى (٥٣: ٢٨ وما لهم به من علم أن يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا)

ومن هذا الباب قوله تعالى (في ١٠: ١٨ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) فقولهم إنهم شفعاؤهم عند الله من القول على الله بغير علم ، فان العلم بالشفيع المعين للمشفوع له المعين خاص به تعالى ، اذ لا يشفع أحد عنده الا باذنه ، وهو لا يأذن بأصل الشفاعة الا لمن ارتضاه شفيعا ، ثم لا يأذن له بان يشفع الا لمن كان سبحانه راضيا عنه ، كما قال في شأن عباده المكرمين (في ٢١: ٢٧ لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون ٢٨ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون)

والقسم الثاني من القول على الله بغير علم خاص بالتشريع كابتداع عبادة لم يشرعها الله تعالى البتة أو شرع أصلها فجيء بها على غير الصفة التي شرعها

كاذكار أهل الطريق بألفاظ لم ترد في الشرع مع الرقص والغناء وغير ذلك مما فصله الشاطبي في كتابه الاعتصام وابن الحاج في المدخل وغيرهما من الاعلام - وكتحريم ما لم يحرمه الله تعالى في وجه . قال تعالى في (٤٢: ٢١ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقال في (١٦ : ١١٦) ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) الآية

فعلم من هذه الآيات وما في معناها أن القول على الله بغير علم أغلظ أنواع الكفر وأشدها افسادا لدين الناس ولعقولهم وفطرتهم ، وانه يسمى شركا ويتضمن ذلك عد فاعله شريكا لله تعالى ومن قبل تشريعاً من غير الله فقد اتخذه ربا وشريكا وقد ورد في تفسير النبي (ص) لقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) ان معناه انهم كانوا يتبعونهم فيما يحلون لهم ويحرمون عليهم،ومن شرع للناس عقيدة لم يشرعها ربهم لهم فهو أجدر بانتحال الربوبية جعل نفسه شريكا للرب تعالى [illegible] من طعام أو شراب مثلا

وهل عنى هذا من قال لخطيب الفتنة القائل ليس لله شريك ، رداً لقوله. إن الله اعطى السيد البدوي حق التصرف في ملكه العزيز ؟ أم عنى أن هذا التصرف يقتضي أن يكون البدوي شريكا لله تعالى في تدبير أمر عباده ؟ اياما عنى فله وجه وجيه

ذلك بان الذين يقولون بهذا التصرف لا يعنون به أنه منتظم في سلسلة الاسباب والمسببات العادية كتصرف البدوي في رعي ماشيته وسوقها حين يريح وحين يسرح ، وتصرف الفلاح في أرضه حين يحدق وحين يزرع ، وانما هو عندهم بسلطة غيبية هي فوق الاسباب العادية والسنن الكونية المعروفة للبشر ، في الاعمال التي يتناولها كسبهم ، وهذه السلطة هي الخاصة بالخالق عز وجل ، بمعنى انه ليس للناس فيها عمل ولا كسب ، وهي التي تمتاز بها العبادات من العادات ، فكل دعاء أو تعظيم قولي او عملي يوجهه الانسان الى من يؤمن بان له سلطانا غيبيا هو فوق الاسباب المشتركة بين الخلق فهو عبادة له والا فلا ، فالفرق جلي

بين من يدعو ميتا لشفاء مرضه أو مرض ولده مثلا أو للانتقام من عدوه أو ينذر له لاجل ذلك وبين من يدعو الطبيب للمعالجة او يشكو الى الحاكم ظالمه وسواء اعتقد من يدعو الميت انه يفعل ذلك وحده بقدرته الذاتية أو اعتقد انه يفعل ذلك بتأثيره في علم الله تعالى وارادته بان يكون واسطة وسببا لان يفعل سبحانه مالم يكن ليفعله لولاه ، وذلك يقتضي تأثير الحادث في القديم وتعليل افعاله تعالى بالحوادث ، وكون هذا الفعل لم يقع الا باشتراك سلطتين غيبيتين هما فوق سنن الخالق في الاسباب والمسببات هو صورة هذا الوجه في المسألة ولم يكن مشركو العرب وأمثالهم يقولون بمساواة آلهتهم لرب العالمين في شيء بل كانوا يقولون انه ربهم وخالقهم وهم شفعاء عنده فقط . على ان هذا التحليل لايخطر في بال أكثر الذين يدعون هؤلاء الموتى ويتقربون لهم ويشدون الرحال الى قبورهم خاشعين متضرعين ، تاركين الصلاة مفترضين بالربا مرتكبين لكثير من المنكرات ارضاء لهم ، لاجل ان يقضوا لهم حاجاتهم وانما هو تأويل من تأويلات شيوخهم كتبا في العقائد قررت فيها وحدانية الافعال لله تعالى بما ينافي ما تلقوه ورسخ في أنفسهم ممن نشؤا بينهم من تصرف بعض هؤلاء الشيوخ الميتين في الكون ، فاخترعوا هذه التأويلات للجمع بين العقيدتين

ولئن سألتهم ليقولن انه ليس لهم أدنى تأثير في ارادة الله تعالى ولا في أفعاله وانما هم أسباب خفية يخلق الله الاشياء عندها لابها ، كما يقول أكثرهم في الاسباب الجلية العادية كاحراق النار وارواء الماء ، ولو كان هؤلاء المفتونون بالقبور يعتقدون انه لا تأثير لاصحابها البتة لما وجد شيء من هذه الخرافات والبدع التي أفسدت الامة ولوقف الناس في زيارة القبور عند هداية السنة ، يزورونها لتذكرة الآخرة ويدعون لاربابها ولا يدعونهم ، ويشفعون لهم بالدعاء ولا يستشفعون بهم ، لان هذا هو الوارد في السنة . على أن الاسباب الظاهرة من عالم الشهادة قد علم كونها اسبابا بالمشاهدة والتجربة المطردة . وأما تصرف الموتى فهو امر غيبي لم يثبت بالمشاهدة ولا بالتجربة المطردة ، ولا جاءنا الوحي من عالم الغيب والشهادة

بانه جعلهم أسبابا لشيء من ذلك ، بل كل من التجربة الدقيقة في الامم المختلفة ومن الوحي الصادق يدل على خلاف ذلك

اما التجربة فاننا قد علمنا من تاريخ الامم ان هذا الاعتقاد انما يفشو ويروج فيها في زمن الجهل والانحطاط فتكون به أشقى الامم وأشدها خسارا في دينها ودنياها وصحتها ومعيشتها ، فالمسلمون لم يكونوا كذلك في خير القرون التي فتحوا بها الممالك ودونوا العلوم وأسسوا الحضارة ، فلم يرو لنا أصحاب الصحاح ولا السنن ان الصحابة كانوا يدعون النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره الشريف ولا عند اشتداد الخطوب في الحروب ولا في حالة المرض لاجل النصر والشفاء ولا روى التاريخ لنا ذلك عن التابعين ولا تابعيهم من علماء الامصار كائمة الفقه الاربعة وأئمة آل البيت النبوي رضي الله عنهم أجمعين . بل رووا لنا ان النبي (ص) وأصحابه كانوا يربطون الاشياء باسبابها وانهم لما قصروا فيها يوم أحد انكسروا ونال المشركون منهم حتى ان النبي (ص) شج رأسه الشريف وكسرت سنه . ولما تعجب الصحابة وتساءلوا في ذلك أنزل الله تعالى (او لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم)

وقد فشت هذه البدع في الامم الوثنية فالكتابية من قبلنا فكان فشوها فيهم من أسباب ضعفهم والعون لسلفنا على السيادة عليهم ، فلما ضعفت هذه العقائد الخرافية فيهم بارتقائهم في علوم الكون وسنن الله تعالى في الاسباب والمسببات ، وقل فيهم من يعتمد في اصلاح حال الافراد والجماعات ، على تصرف الاولياء الاحياء والاموات ، بعد أن سرت الينا منهم هذه الخرافات ، دالت لهم الدولة علينا ، وصاروا أحسن منا صحة ، وأشد قوة ، وأعلى سيادة ، وأرفه معيشة

وأما الوحي فالله تعالى قد أمر خاتم رسله الذي أكمل دينه واتمه على لسانه وهديه ان يخاطب من آمن به بقوله عز وجل في (٦ : ٥٠ ـ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك) فقد نفى أن تكون عنده خزائن رزق الله يتصرف فيها ويأتي ما اقترحوا عليه من الآيات لاثبات رسالته

من تفجير الينبوع في مكة وإيجاد جنة فيها يفجر الانهار خلالها تفجيراً كما قال الفخر الرازي ، ونفى أن يكون يعلم الغيب وأن يكون ملكا كما اقترحوا أو يقدر على ما يقدر عليه الملك ، ثم أمره أن يقول بعد ذلك (ان أتبع الا ما يوحى الي) كما قال في الرد على ما اقترحوه عليه من الآيات التي أشرنا اليها (سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا) أي فهو من حيث انه بشر لا يقدر على مالا يقدر عليه البشر ومن حيث أنه رسول ليس عنده الا ما يوحيه الله اليه فيبلغه ويبينه للناس. فاين هذا ممن يدعون أن السموات السبع في رجل أحدهم كالخلخال الخ

وأمره أيضاً أن يخاطب الناس بقوله تعالى (٧ : ١٨٧ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وبقوله (قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) [illegible] وانما الذي يملك ذلك كله الله تعالى . [illegible] (ص) فهو كنفي الظلم عن الرب تعالى يبين به الحق الواقع فلا يقتضي انه مظنة الوقوع ، والمراد هنا ان هداية الناس وضلالهم ونفعهم وضرهم كلها بيد الله تعالى من حيث انه هو الخالق المدبر الواضع السنن والاسباب لكل من ذلك فليس وراء هذه الاسباب تصرف لغيره

هذا نوع من انواع دلالة الوحي على بطلان تلك الدعوى أعني نفي علم الغيب ونفي القدرة على التصرف في ملك الله وخزائن رزقه عن الرسل عليهم السلام ، ويتصل به نوع آخر وهو كون الآيات (المعجزات) التي يؤيدهم الله تعالى بها لا تتعلق بها قدرتهم وانما هي لله وعند الله وبيد الله عز وجل ، والآيات فيها معروفة ، وهناك نوع ايجابي أقوى من هذا ويجامع ما قبله وهو دلائل وحدانية الافعال التي فسرها الاشعرية بانه لا فعل لغير الله وأن الله تعالى يخلق المسببات عند الاسباب لابها ، وهل يمكن أن يطلب المؤمن بهذه الوحدانية شيئا من الموتى

وهم لم يصح شرعا ولا علما أن الله جعلهم أسبابا ؟

كرامات الاولياء

علم مما مر أن فتنة الغلو في كرامات الاولياء قد هدمت من عقول الالوف وألوف الالوف من الناس عقيدة تجريد التوحيد وهو أساس الدين الذي بني عليه غيره منه ، وأعلى علوم البشر ومعارفهم التي يتحقق بها تكريم الله تعالى لهم باعتاقهم من الذل والعبودية لغيره عز وجل . ونسخت من أذهانهم وقلوبهم الآيات المحكمة في العقائد الالهية ومعنى الرسالة ووظائف الرسل ، ووضعت في مكانها ما لا يحصى من الخرافات والاوهام التى أفسدت عليهم أمري الدين والدنيا ، ويزعم كثير من أنصار هذه الخرافات المعممين أن تشكيك العوام فيها يفضي الى شكهم في الرسالة وفي سائر أصول الدين ، وقد جهلوا أن هذا الغلو فيها هو الذي أفسد عقائد جماهير العوام وأعانهم وتشكيك جماهير الخواص الذين تلقوا العلوم العقلية والكونية والاجتماعية عن الاسلام فحسبوا أنه مجموعة خرافات لا تليق الا بأمثال هؤلاء العوام

ولو صح أن بعض هؤلاء لا يقنعه بأصل الاسلام الا هذه الكرامات لكان ذلك مفسدة أخرى يطلب من العلماء ازالتها وبناء العقيدة على البراهين العقلية والنقلية القطعية وهو الواجب الذي قرره جميع العلماء ، والا فان التشكيك في هذه الكرامات من أسهل الامور وقلما نرى أحداً من المتعلمين المتدينين يصدق شيئاً مما يرويه هؤلاء العوام منها دع غير المتدينين الذين لا شبهة لا كثرهم على الدين الا جعلها من أركانه وأسس بنيانه

ما هذه الكرامات ؟ انها ليست من عقائد الدين وانما تذكر في كتب الكلام بالتبع لبحث معجزات الرسل كما يذكر السحر وغيره مما عدوا من خوارق العادات . وقد اختلف نظار العلماء في جوازها واختلف المجوزون لها في وقوعها ، واختلف القائلون بوقوعها هل تقع في جميع خوارق العادات التي يؤيد الله تعالى بمثلها الرسل أم لا تقع الا في أمور محدودة ؟ وهل تكون بقصد

من الولي واختيار أم بغيرهما ؟ وهل تتكرر أم لا وكيف يكون المكرر من الخوارق

جاء في المواقف وشرحه ما نصه : (المقصد التاسع) في كرامات الاولياء وأنها جائزة عندنا خلافا لمن منع جواز الخوارق ، واقعة خلافا للاستاذ أبي اسحق والحليمي منا، وغير أبي الحسين من المعتزلة اهـ فهذان امامان من اكبر أئمة الاشعرية ينكران وقوع الكرامات ، ولم يكن ذلك مطعنا في دينهما ولا مسقطا من مكانتهما من أئمة اهل السنة ، بل ظلا في الذروة وكان أبو اسحق الاسفرايني هذا امام الائمة في عصره ، ولا يزال يعبر عنه في كتب العقائد والاصول بالاستاذ فاذا أطلق لا ينصرف الى سواه

لا تتسع هذه الفتوى لتمحيص القول في مسألة الكرامات وقد كتبنا من قبل مقالات كثيرة فيها خاصة ، وألممنا ببعض مسائلها في مقالات أخرى نشرت في مجلدات المنار المتفرقة ، منها بضع مقالات بعنوان الكرامات في المجلد الثاني لخصنا فيها ما أورده التاج السبكي في طبقات الشافعية من الخلاف فيها ، وحجج منكريها ومثبتيها ، [illegible] مقالة بهذا العنوان في المجلد السادس ذكرنا فيها ما أورده السبكي من أنواعها ، وتأويل ما ورد منها على تقدير صحة الرواية فيه ، ومنها مقالات أخرى بعنوان الخوارق والتصرف في الكون والموالد وغير ذلك

وفي هذه المقالات فوائد كثيرة من المنقول والمعقول تعطي المطلع عليها بصيرة في الدين والدنيا نشير الى بعضها بالارقام

(١) ان ما ينقل الينا من الوقائع المخالفة لسنن الله تعالى في الخلق وفي سير الاجتماع البشري يجب أن لا يقبل فيجعل محلا للبحث فيه الا اذا ثبت ببرهان يقيني لانه جاء على خلاف الاصل من المعقول والمنقول ، وأعني بالمنقول ما ثبت في نص القرآن من أن سنن الله تعالى في نظام الخلق وشؤون الامم لا تتبدل ولا تتحول

(٢) إن كثيرا مما يظهر بادي الرأي أنه من خوارق العادات لا يكون

كذلك في الواقع ونفس الامر، بل منه شعوذة وتخييل، ومنه ماله أسباب خفية من طبيعية وصناعيـة، كقوله تعالى في الحبال والعصي التي ألقاها سحرة فرعون (يخيّل اليه من سحرهم أنها تسعى) وقد أثبت صاحب جامع التواريخ أو (نشوار المحاضرة) من معاصري الحلاج وكذا الحافظ ابن الجوزي أن كراماته كلها كانت من قبيل الحيل وقد اكتشفوا حيله في عصره كالذى عرف الدار والبستان الخفيين اللذين كان يحفظ فيهما السمك المشوي والفاكهة والاطعمة فيأتي بها عند الحاجة وانقذه الحلاج القتل اذا هو فضحه وقد ذكرنا في مقالات المنار شواهد كثيرة للحيل ولما في معناها من الخواص الكونية

(٣) ان روايات الكرامات مأثورة عن جميع الامم الوثنية والكتابية وان دعواها تكثر في العصور التي يضعف فيها العلم والدين في الامم ويكثر الكذب والدجل، ويقل في عصر العلم وقوة التقوى، ولذلك ترى المروي عن الصحابة والتابعين منها قليلا، وقد زعم بعض الناس أن سبب هذا حاجة الناس في زمن الجهل والفسق الى ما يقوى به إيمانهم، والحق الذي نراه أنها لا تزيد النـاس في هذه الحال الا فسقا وجهلا ودجلا وغرورا وضعفا في الدين والدنيا، وخضوعا للدجالين الذين يعبثون بأموال الناس وأعراضهم، كما أشرنا اليه في أوائل الفتوى

(٤) أن الاصل في الكرامات أن تكون خفية وان الاولياء لا يدعونها ولا يظهرونها الا لضرورة حتى قال السبكي انه «لا يجوز اظهارها الا بسبب ملزم، وأمر مهم»، فاين هذا وذاك من معمل الكرامات الكبير بل معاملها (فبريكاتها) الكثيرة المعبر عن صناعاتها الدائمة بالتصرف في الكون؟ الذي ينقلون عن كل قبر من قبور عماله الكثيرين ما لا يحصى من الكرامات لاحقر الاسباب كاصابة زيد من الناس بداء قتال أو مرض عضال أو اماتته فجأة أو اصابتـه بجائحة في زرعه أو هلاك ليهائمه لاجل استغاثة خصم أو عدو له بولي يستعديه عليه ولو بالباطل، أولانه قال كلمة اعتراض وأساءة أدب مع صاحب القبر، كأن أولياءهم من الاشرار الذين خلقوا للاذى والضرر. دع قسم المستثنيات من معمل التصرف

في الكون الذي يرى، كل يوم ألوفا من المرضى الذين لا يذكر مرض أجسامهم في جانب أمراض عقولهم وأديانهم

(٥) كون الكرامات الحقيقية لا تتكرر وعلله الشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية بأن ما يتكرر يكون معتاداً فلا يدخل في خوارق العادات، ونحن نرى أن ما يدّعونه للمتصرفين في الكون من صادرات المعامل الدائمة يتكرر في كل يوم وفي كل ساعة

(٦) ان أكثر ما فشا ويتناقله الناس من الامور التي يسمونها كرامات والكثير مما يصح نقله من المصادفات التي يكثر وقوعها، وانما الاعتقاد هو الذي يحمل غير المدقق في معرفة أسبابها على جعلها من الكرامات، والجاهل بالمنطق لا يفرق بين القضية الشرطية الحقيقية كقولهم: اذا كانت الشمس طالعة فالنهار موجود، والشرطية الاتفاقية كقولهم: ان كان الانسان ناطقا فالحمار ناهق. فاذا استمدى أحد شيئا (وليا) [illegible] عليه [illegible] واذا أنكر منكر على الشيخ – وأصابه عقب هذا أو ذاك مصيبة في نفسه أو أهله أو ماله قال أصحاب العقول الخرافية انه تصرف به، وقد وقع مثل هذا لنا ولأهل بيتنا كما وقع لغيرنا مراراً ولم نعده من الكرامات. ولو شئنا أن نعد لنفسنا عشرات من الكرامات التي يثبت مثلها لرجال الشيخ يوسف النبهاني لفعلنا وكنا أصدق منه في النقل، وأقدر على الاتيان عليه بالشهود العدول من الاحياء

(٧) ان ما يبدو بادي الرأي خارقا للعادة يجوز أن يكون له أسباب خفية، ومنه ما يسميه علماء الكون فلتات الطبيعة، ومنه ما هو من خواص الانفس البشرية التي يتفاوت فيها الناس تفاوتا بعيداً — كالمكاشفة والتأثير النفسي في بعض الناس ولا سيما أصحاب الارادات الضعيفة وناهيك اصحاب الامزجة العصبية من النساء، وبعض الرجال الذين يعتقدون أن لمن يدعون الاموات والأحياء سلطانا غيبيا يتصرف به في الكون، فان هؤلاء يكونون سريعي التأثر والانفعال بما يعتقدون تأثيره حتى ان بعض الاطباء يعالجونهم بما للاوهام من السلطان على أنفسهم،

ولذلك تجد هذه الانواع كثيرة الوقوع

وقد وضحنا هذه المسألة في المنار مرارا ، وشبهنا فيها أرواح البشر وأنفسهم بأجسادهم في تفاوت الافراد في قوتها وضعفها واختلاف استعدادها واستعمالها لهذا الاستعداد .

مثال ذلك أن الروح هو المدرك من الانسان وادراكه غير مقيد لذاته بالحواس التي هي آلات له ما دام محبوساً في الجسد بل يمكن أن يدرك بعض الامور بذاته في نوم أو يقظة ، وقد يدرك بعض الامور قبل وقوعها ، وبينا أن هذا النوع من الادراك ليس من العلم بالغيب الذي استأثر الله تعالى به ، وانما هو غيب اضافي لا حقيقي ، وان قلة هؤلاء المدركين لهذه الامور لا ينافي ان ادراكها مما أودع في الفطرة البشرية وجعل من مقدورها ، على أنها في الغالب تقع بدون ارادة من صاحبها ، ويمكن في الغالب أن تكون بتوجيه الارادة الى ادراك الشيء ، ويختلف الناس في التوجه اليه بحسب استعدادهم حتى اذا انحصر التوجه وصرفت عن الفكر الشواغل ادركت الروح ما توجه اليه ادراكا ما ، وضربنا له المثل في انفراد بعض الافراد بالقوة العضلية النادرة كقوة القيصر الروسي اسكندر الثالث الذي كان يأخذ بيده الريال الروسي فيجوفه باصابعه فيجعله كفنجان القهوة ويضع فيه زهرة يتحف بها بعض النساء في مجلسه، وكان الشيخ علي العمري عندنا في طرابلس الشام يلوي باصابعه حديد النوافذ ويمسح القطعة من القدفيز بل حرشة نقشها ، وله غرائب في قوة العضل كانوا يعدونها من كراماته الكثيرة ولم يعد أحد مثلها من القيصر الروسي كرامات له. ولا غرو فالمتكلمون يجوزون وقوع خوارق العادات من كل أحد حتى الفساق والكفار ووضعوا لها اسماء تختلف باختلاف حال من وقعت لهم أو على أيديهم

هذا وان الروحيين من المتقدمين ومن فرنجة هذا العصر الذين يقولون إن أرواح الاحياء قد تتجرد من المادة الكثيفة وان أرواح الموتى قد تتجلى في مادة لطيفة أو كثيفة تستمدها عن عناصر الكون لم يثبت أحد منهم انها قد

أعطيت التصرف في أمور العالم ونفع الناس وضرهم بل صرح بعضهم بأنها لم تعط هذا ولا تقدر عليه .

وما نقل عن بعض كبار الصالحين العارفين من ادعاء ذلك فأكثره كذب وزور لا تصح به الرواية عنهم، ومنه ما عدوه من الشطح الذي يصدر عنهم في حال غيبة ثم يتوبون منه ، ومنه ما يقصد به الاسباب الظاهرة كالبيتين المنسوبين الى السيد الجيلي قدس الله روحه

على بابنا قف عند ضيق المناهج تفز بعليّ القدر من ذي المعارج
الم تر أن الله أسبغ نعمة علينا وولانا قضاء الحوائج

فقد كان رحمه الله تعالى ذا مقام رفيع عند الخلفاء وكبار الحكام فاذا أوصى بكشف ظلامة لا ترد وصيته ، وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى ممن يصدق عليه معنى هذين البيتين على أن علماء النقل قد قالوا ان الجيلي كان ذا كرامات صحيحة وعلوم نافعة قال شيخ الاسلام ابن تيمية ولكن أكثر ما في كتب مناقبه كذب و بعضها ليس من الكرامة في شيء

وههنا مسألة يغفل الناس عنها بيناها في المنار مرارا وهي كيف يصح أن يكون اولياء الله الاحياء والاموات يتولون قضاء حاج المسلمين ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم بما أوتوا من التصرف في ملك الله الواسع بخوارق العادات ونحن نرى المسلمين أسوأ حالا من سائر الامم ولا سيما الافرنج في صحتهم وسعة عيشهم وعزهم وعظمة ملكهم وسائر ما يطلبه الناس من هؤلاء الاولياء من أمور دنياهم فلماذا لا يتصرفون في الاسطول البريطاني مثلا؟ ونرى الذين لا يصدقون بقدرة هؤلاء الاولياء على التصرف في أمور الكون من المسلمين أنفسهم أحسن حالا في ذلك كله من المصدقين الذين وصفنا حالهم من قبل ، سواء كان سبب انكار هذا التصرف كمال التوحيد والعلم الصحيح بالكتاب والسنة والاعتصام بهما ، أو العلم بسنن الكون ونواميسه وتواريخ الملل وكون هذه الخرافات قد انتقلت من الوثنيين الى أهل الكتاب ومنهم الى المسلمين ، فكانت مصداقا لقول

النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم - أو - لدخلتموه» رواه الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد وغيره

تفاوت الارواح وما تسعد به وتشقى

هذا وان ما ذكرناه من تفاوت أرواح البشر في أصل الخلق له أصل في الكتاب والسنة يجب أن نعتبر به ، قال النبي صلى الله عليه وسلم «الناس معادن كمعادن الفضة والذهب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا ، والارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » رواه مسلم هكذا حديثا واحداً بهذا اللفظ عن أبي هريرة وروياه حديثين في كل من الصحيحين وفي بعض الفاظ الحديث الاول « الناس معادن في الخير والشر » أي إن أنفسهم في أصل فطرتها التي تؤثر فيها الوراثة كمعادن الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير وغيرهن

وقال الله تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها « قد أفلح من زكاها «وقد خاب من دساها) فالنفس الانسانية مستعدة في أصل الفطرة للخير والشر وللفجور والتقوى ، على تفاوت في الاستعداد ، ولكن الفلاح والفوز بالسعادة منوط بتزكيتها بالعلم الصحيح وما يترتب عليه من العمل الصالح وهو المراد بقوله (ص) «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » والخيبة والشقاء منوطان بتدسيتها أي اهمال صقلها وتزكيتها بالعلم الصحيح والعمل الصالح وهو من دس الشيء في التراب مثلا . ولذلك قال البيضاوي في تفسير «دساها » أخفاها ونقصها بالجهالة والفسوق

فدار السعادة والشقاء في الاسلام على صقل معدن النفس بالعلم والفضيلة أو دسه فيما يفسد جوهره من الجهالات والخرافات والرذائل ، ومن المعروف عند الناس كافة أن الجوهر الادنى يكون بجودة صقله اجمل وأنفع من الجوهر الاعلى الذي دس في الارض ولاسيما الرطبة ذات المواد الملحية، ألم تر أن الذهب والفضة

يفسد جوهرهما بهذا الدس والاهمال ، حتى اذا عثر عليهما الناس لا يكادون يعرفونهما من حيث ترى الصفر المجلو والحديد المصقول يتلألآن كالمرآة فيكونان أجمل منظراً وأحسن مرتفقاً وفائدة للناس من الذهب والفضة المدسيان في السبخة ؟ ولكن المعدن الاعلى اذا صقل كما يصقل المعدن الادنى فانه يكون أبهج منه منظراً وأكرم عند الناس استعمالا

فيجب ان نجعل هذه الحقيقة هي الاصل في تربية المسلمين وتعليمهم، وهي ان سعادة كل فرد من الافراد محصورة في تزكيته لنفسه بالعلم والفضيلة والعمل الصالح وشقاؤه بضد ذلك ، وان من فسدت نفسه وخبثت لا ينفعه زكاء نفس غيره لا من الاحياء ولا من الموتى لا في الدنيا ولا في الآخرة، حتى لو اعطي هؤلاء تصرفاً في الكون لما نفعوا من دسوا أنفسهم وتركوا هداية ربهم اتكالا على أن يعمل لهم بعض خلقه ما كلفهم ان يعملوه هم لانفسهم ، ومصداق هذا الاصل ظاهر في الامم كلها من سائر الارض وفي التاريخ قراءة عبرة

ولذلك كان فيما وعظ النبي صلى الله عليه وسلم أقرب الناس منه قرابة حين انزل الله تعالى عليه (وانذر عشيرتك الاقربين) ان دعا بطون قريش وعم وخص قال « يامعشر قريش انقذوا أنفسكم من النار فاني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً — الى ان قال — يافاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار فاني لا أملك لك ضراً ولا نفعاً » رواه احمد والشيخان في الصحيحين وغيرهم من حديث أبي هريرة . وفي رواية لاحمد ومسلم وغيرهما من حديث عائشة انه قال يومئذ « يافاطمة ابنة محمد ياصفية ابنة عبد المطلب يابني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلوني من مالي ماشئتم »

مدار النجاة في الاسلام وفي الوثنية

وجملة القول أن مدار دين التوحيد على أن النجاة في الآخرة بالايمان والعمل الصالح ومدار أديان الوثنية على أن النجاة فيها بتأثير الصالحين عند الله في نجاء الضالين، وحسبنا قول الله عز وجل في وصف ذلك اليوم (يوم لا تملك نفس

لنفس شيئا والامر يومئذ لله) وحكم الله في ذلك اليوم مبين في كتابه كقوله الذي أنزله يوم تفاخر بعض الصحابة مع بعض أهل الكتاب (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب : من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) والعبرة عند جمهور أهل السنة بالخاتمة فهم لا يقطعون بولاية شخص معين كالبدوي ولا بدخوله الجنة لان القطع يختص من ورد النص بأنهم أهلها كالسبطين سيدي شباب أهل الجنة والعشرة (رض) أجمعين

فيا أيها العلماء حسبكم إهمالا لامر عامة هذه الامة بينوا لها حقيقة دينها ، وأنذروها عاقبة هذه الخرافات التي أفسدت عليها دينها ودنياها ، أما ترونها تتسلل من الدين لواذا ، وتطير الكفر والفسوق ثبات وافذاذا ، حتى صاروا يدعون الى الالحاد جهارا ، والى ترك الشريعة احتقارا لها واستكبارا ، زاعمين أن الاسلام دين خرافات وأوهام لا يمكن أن ترتقي به الامة في هذا الزمان ، ويستدلون على هذا بما أشرنا اليه من الضلالات والخرافات الفاشية في الامة ، ومشاركة الكثير من علمائها لها فيها بحضور هذه الموالد معها ، وترك اقامة شعائر الدين والدروس في المساجد لاجلها ، وبتأويل البدع والخرافات لها ، واضطهاد من تصدى من العلماء وطلاب المعاهد الدينية لانكارها كما وقع في دمياط وطنطا والاسكندرية وغيرها . فاتقوا الله وتداركوها قبل أن يخرج الامر من يدكم ، ولا عذر لكم بعد اليوم بما كنتم تعتذرون به من سلب الحكام لحريتكم ، فان الدستور الذي كرهه بعضكم قد أعطاكم من الحرية ما لم يكن لكم ، وهو لم يعط الملاحدة والفساق شيئا لم يكن لهم ، فقد كانت حرية الكفر والفسق تامة ، وحرية الاسلام صورية ناقصة ، على أن نقصها في مصر كان خاصا بالانكار على الحكام والاحكام ، دون ما يتعلق بارشاد العوام

ملخص الفتوى :

إن ذلك الخطيب قد قال على الله تعالى ما ليس له به علم ، فدخل فيمن

شرعوا للناس ما لم يأذن به الله، وقد دل القرآن والسنة على أن هذا من الشرك، فانكار المنكر عليه صحيح، فان كان متأولا أو معذورا بجهله عذرا يدرأ عنه الردة، فعليه بعد العلم أن يتوب توبة صحيحة، وأنا لا أكفر شخصا معينا لم أختبر حاله اختبارا تاما. واعلم أن أكثر مسلمي هذا العصر لم يلقنوا عقائد الاسلام كما أنزلها الله تعالى. فأكثرهم يجهلونه ولا يعرفونه، والواجب على العالم أن يبين الحق وعلى من يلمه أن يحاسب نفسه، والقاعدة عند العلماء أن الجهل ليس بعذر في دار الاسلام الا لحديث العهد به، ولها فروع وجزئيات في باب الردة وغيرها دقيقة قد حققناها في مواضع من المنار، والله أعلم

أهل الصفة

(وأباطيل بعض المتصوفة فيهم وفي الاولياء وأصنافهم والدعاوى فيهم)

لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية قدس سره

﴿فصل﴾ وأما الحديث المروي «ما من جماعة يجتمعون الا وفيهم ولي لله»(١) فمن الاكاذيب ليس في دواوين الاسلام وكيف والجماعة قد تكون كفارا وفساقا يموتون على ذلك

﴿فصل﴾ وأولياء الله تعالى هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما ذكر الله ذلك في كتابه وهم قسمان المقتصدون اصحاب اليمين والمقربون السابقون فولي الله ضد عدو الله قال الله تعالى (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقال الله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا — الى قوله — ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) وقال (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) وقال (ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم

---

(١) زاد بعضهم فيه: لا هم يدرون به ولا هو يدري بنفسه. قال علي القاري في موضوعاته وهو كلام باطل

يوزعون) وقال (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو)

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وا كره مساءته ولا بد له منه، وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و يده التي يبطش بها و رجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يسعى »

والولي: من الولي (١) وهو القرب، كما ان العدو من العدو وهو البعد، فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته، ويتقرب اليه بما امر به من طاعاته وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحيح الصنفين: المقتصدون(٢) اصحاب اليمين وهم المتقربون الى الله بالواجبات والسابقون المقربون وهم المتقربون بالنوافل بعد الواجبات، وقد ذكرهما الله في سورة فاطر والواقعة والانسان والمطففين وأخبر ان الشراب الذي يروى به المقربون بشربهم اياه يمزج لاصحاب اليمين.

والولي المطلق هو من مات على ذلك فاما إن قام به الايمان والتقوى وكان في علم الله تعالى انه يرتد عن ذلك فهل يكون في حال ايمانه وتقواه وليا لله أو يقال لم يكن وليا لله قط لعلم الله بعاقبة حداثته؟ قولان للعلماء

وكذلك عندهم الايمان الذي يعقبه الكفر هل هو ايمان صحيح ثم يبطل بمنزلة ما يحبط من الاعمال بعد كماله؟ أو هو ايمان باطل بمنزلة من أفطر قبل غروب الشمس في صيامه ومن أحدث قبل السلام في صلاته ايضا؟ فيه قولان للفقهاء المتكلمين والصوفية والنزاع في ذلك بين أهل السنة والحديث من أصحاب الامام احمد وغيرهم،

وكذلك يوجد النزاع فيه بين أصحاب مالك والشافعي وغيرهم . لكن

(١) الولي بوزن فلس القرب قاله في المصباح (٢) أي وهم المقتصدون الخ

أكثر أصحاب ابي حنيفة لا يشترطون سلامة العاقبة، وكثير من أصحاب مالك والشافعي شرط سلامة العاقبة، وهو قول كثير من متكلمي أهل الحديث كالاشعري ومن متكلمي الشيعة ويبنون على هذا النزاع هل ولي الله يصير عدو الله؟ وبالعكس؟ ومن أحبه الله ورضي عنه هل ابغضه الله وسخط عليه في وقت ما ؟ وبالعكس ؟ ومن أبغضه الله وسخط عليه هل أحبه الله ورضي عنه في وقت ما على القولين

والتحقيق وهو الجمع بين القولين فان علم الله القديم الازلي وما يتبعه من محبته ورضاه وبغضه وسخطه وولايته وعداوته لا يتغير، فمن علم الله منه انه يوافي حين موته بالايمان والتقوى فقد تعلقت به محبة الله وولايته ورضاه عنه ازلا وابدا

وكذلك من علم الله منه انه يوافي حين موته بالكفر فقد تعلق به بغض الله وعداوته وسخطه أزلا وأبدا لكن مع ذلك فان الله يبغض ماقام بالاول من كفر وفسوق قبل موته ، وقد يقال انه يبغضه ويمقته على ذلك كما ينهاه عن ذلك وهو سبحانه وتعالى [illegible] ويحب ما يأمر به ويرضاه . وقد يقال انه يحبه [illegible]

والدليل على ذلك اتفاق الامة على ان من كان مؤمناً ثم ارتد فانه لا يحكم بان إيمانه الاول كان فاسدا بمنزلة من أفسد الصلاة والصيام والحج قبل الاكمال وانما يقال كما قال الله تعالى (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) وقال (لئن اشركت ليحبطن عملك) وقال (ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) ولو كان فاسدا في نفسه لوجب ان يحكم بفساد انكحته المتقدمة وتحريم ذبائحه وبطلان عباداته جميعا حتى لو كان قد حج عن غيره كان حجه باطلا، ولو صلى مدة بقوم ثم ارتد كان لهم أن يعيدوا صلاتهم خلفه ، ولو شهد أو حكم ثم ارتد أن تفسد شهادته وحكمه ونحو ذلك. وكذلك ايضا الكافر اذا تاب من كفره ولو كان محبوبا لله وليا له في حال كفره لوجب ان يقضى بعدم احكام ذلك الكافر وهذه كلها خلاف ماثبت بالكتاب والسنة والاجماع

والكلام في هذه المسألة نظير الكلام في الآجال والارزاق ونحو ذلك وهي ايضا

على قاعدة الصفات الفعلية وهي قاعدة كبيرة وعلى هذا يخرج جواب السائل .

فمن قال ان ولي الله لا يكون الا من وافاه حين الموت بالايمان والتقوى فالعلم بذلك أصعب عليه وعلى غيره . ومن قال قد يكون ولي الله من كان مؤمنا تقيا وان لم يعلم عاقبته فالعلم بذلك أسهل ومع هذا يمكن العلم بذلك للولي نفسه ولغيره ولكنه قليل ولا يجوز التهجم بالقطع على ذلك . فمن ثبتت ولايته بالنص وانه من أهل الجنة كالعشرة وغيرهم فعامة أهل السنة يشهدون له بما شهد له به النص . واما من شاع له لسان صدق من الامة بحيث اتفقت الامة على الثناء عليه فهل يشهد له بذلك ؟ هذا فيه نزاع بين أهل السنة والاشبه أن يشهد له بذلك ، هذا في الامر العام

وأما خواص الناس فقد يعلمون عواقب أقوام بما يكشفه الله لهم . لكن ليس هذا مما يجب التصديق العام به فان كثيرا مما يظن به انه حصل له هذا الكشف يكون ظانا في ذلك ظنا لا يغني من الحق شيئا وأهل المكاشفات والمخاطبات يصيبون تارة ويخطئون أخرى كأهل النظر والاستدلال في موارد الاجتهاد ولهذا وجب عليهم جميعهم ان يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله وان يزنوا مواجيدهم ومشاهداتهم وآراءهم ومعقولاتهم بكتاب الله وسنة رسوله لا يكتفوا بمجرد ذلك ، فان سيد المحدثين المخاطبين الملهمين من هذه الامة هو عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، وقد كان تقع له وقائع يردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه التابع له الآخذ عنه الذي هو اكمل من المحدث الذي يحدث نفسه عن ربه ولهذا اوجب على جميع الخلق اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته في جميع امورهم الباطنة والظاهرة ، ولو كان احد يأتيه من الله ما لا يحتاج الى عرضه على الكتاب والسنة لكان مستغنيا عن الرسول في بعض دينه ، وهذا من اقوال المارقين الذين يظنون ان من الناس من يكون مع الرسول كالخضر مع موسى ومن قال هذا فهو كافر . وقد قال تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته

والله عليم حكيم) فقد ضمن الله للرسول والنبي ان ينسخ ما يلقي الشيطان في أمنيته ولم يضمن ذلك المحدث ولهذا كان في الحرف الآخر الذي كان يقرأ به ابن عباس وغيره: «وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته»

ويحتمل والله أعلم أن يكون هذا الحرف متلوا حيث لم يضمن نسخ ما القى الشيطان فاما نسخ ما القى الشيطان فليس الا للانبياء والمرسلين اذ هم معصومون فيما يبلغون عن الله تعالى أن يستقر فيه شيء من القاء الشيطان، وغيرهم لا يجب عصمته من ذلك وان كان من أولياء الله المتقين، فليس من شرط أولياء الله المتقين أن لا يكونوا مخطئين في بعض الاشياء خطأ مغفورا لهم بل ولا من شرطهم ترك الصغائر مطلقاً، بل ولا من شرطهم ترك الكبائر أو الكفر الذي تعقبه التوبة وقد قال الله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون * لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين * ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) فقد وصفهم الله تعالى بأنهم هم المتقون والمتقون هم أولياء الله ومع هذا يجزيهم ويكفر عنهم أسوأ الذي عملوا (١) وهذا أمر متفق عليه بين أهل العلم والايمان ، وانما يخالف في ذلك الغالية من الرافضة واشباه الرافضة من الغالية في بعض المشايخ ومن يعتقدون انه من الاولياء ، فالرافضة تزعم أن الاثنى عشر معصومون من الخطأ والذنب ، ويرون هذا من أصول دينهم ، والغالية في المشايخ قد يقولون إن الولي محفوظ والنبي معصوم ، وكثير منهم لم يقل ذلك بلسانه فحاله حال من يرى أن الشيخ أو الولي لا يخطيء ولا يذنب ، وقد يبلغ الغلو بالطائفتين الى أن يجعلوا بعض من غلوا فيه بمنزلة النبي أو أفضل منه ، وان زادوا الامر جعلوا له نوعاً من الالهية ، وكل هذا من الضلالات الجاهلية المضاهئة للضلالات النصرانية فان في النصارى من الغلو في المسيح والرهبان والاحبار ما ذمهم الله عليه في القرآن وجعل ذلك عبرة

«١» كذا في الاصل وهو محرف والمعنى الذي يدل عليه السياق انهم مع هذا يسيئون ولكن الله يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا أي لغلبة احسانهم على سيئاتهم

لنا لئلا نسلك سبيلهم ولهذا قال سيد ولد آدم « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »

(فصل) وأما الفقراء الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه فهم صنفان مستحقو الصدقات ومستحقو الفيء . أما المستحقون للصدقات فقد ذكرهم الله في قوله (ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) وفي قوله (انما الصدقات للفقراء والمساكين) واذا ذكر في القرآن اسم المسكين وحده أو الفقير وحده كقوله (أو اطعام عشرة مساكين) فهما شيء واحد واذا ذكرا جميعا فهما صنفان

والمقصود بهما أهل الحاجة وهم الذين لا يجدون كفايتهم لا من مسألة ولا من كسب يقدرون عليه ، فمن كان كذلك من المسلمين استحق الاخذ من صدقات المسلمين المفروضة والموقوفة والمنذورة والموصى بها ، وبين الفقهاء نزاع في بعض فروع هذه المسائل معروفة عند أهل العلم

وضد هؤلاء الاغنياء الذين تحرم عليهم الصدقة ثم هم نوعان نوع تجب عليه الزكاة وان كانت الزكاة قد تجب على من يجوز له أخذها عند جمهور العلماء ، ونوع لا تجب عليه ، وكل منهما قد يكون له فضل عن نفقاته الواجبة وهم الذين قال الله فيهم (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) وقد لا يكون له فضل . وهؤلاء الذين رزقهم قوت وكفاف فهم أغنياء باعتبار غناهم عن الناس ، وهم فقراء باعتبار انه ليس لهم فضول يتصدقون بها وانما يسبق فقراء الاغنياء الى الجنة بنصف يوم لعدم فضول الاموال التي يحاسبون على مخارجها ومصارفها فمن لم يكن له فضل كان من هؤلاء ، وان لم يكن من اهل الزكاة

ثم ارباب الفضول ان كانوا محسنين في فضول اموالهم فقد يكونون بعد دخول الجنة ارفع درجة من كثير من الفقراء الذين سبقوهم كما يقدم اغنياء الانبياء والصديقين من السابقين وغيرهم على الفقراء الذين دونهم . ومن هنا قال الفقراء : ذهب اهل الدثور بالاجور ، وقيل لما ساواهم الاغنياء في العبادات

البدنية وامتازوا عنهم بالعبادات المالية ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، فهذا هو الفقير في عرف الكتاب والسنة

وقد يكون الفقراء سابقين ، وقد يكونون مقتصدين ويكونون ظالمي أنفسهم كالاغنياء . وفي كلا الطائفتين المؤمن الصديق ، والمنافق الزنديق

وأما المتأخرون فالفقير في عرفهم عبارة عن السالك الى الله تعالى كما هو الصوفي في عرفهم أيضا ، ثم منهم من يرجح مسمى الصوفي لانه عنده الذي قطع العلائق كلها ولم يتقيد في الظاهر بغير الامور الواجبة ، وهذه منازعات لفظية اصطلاحية ، والتحقيق ان المراد المحمود بهذين الاسمين داخل في مسمى الصديق او الولي والصالح ونحو ذلك من الاسماء التي جاء بها الكتاب والسنة فمن حيث دخل في الاسماء النبوية يترتب عليه من الحكم ما جاءت به الرسالة

وأما ما تميز به مما يعده صاحبه فضلا وليس بفضل أو مما يوالي عليه صاحبه غيره ونحو ذلك من الامور التي يترتب عليها زيادة الدرجة في الدنيا فهي أمور مهدرة في الشريعة الا اذا جعلت من المباحات من الامور المستحبات ،(١) وأما ما يقترن بذلك من الامور المكروهة في دين الله من أنواع البدع والفجور فيجب النهي عنه كما جاءت به الشريعة

﴿ فصل ﴾ وأما الاسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي يكون بمكة والاوتاد الاربعة والاقطاب السبعة والابدال الاربعين والنجباء الثلاثمائة فهذه الاسماء ليست موجودة في كتاب الله ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا باسناد صحيح ولا ضعيف محتمل الا لفظ الابدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الاسناد عن علي بن أبي طالب

«١» كذا في نسختنا ولا يظهر له معنى جلي بغير تكلف ولعل اصله انما جعلت المباحات مما ذكر من المستحبات بالنية الصالحة كالسياحة الاصل فيها الاباحة وقد تكون مستحبة اذا نوي بها امر مستحب شرعا كتحصيل العلوم والفنون النافعة غير الواجبة شرعا كما تكون واجبة وفنون الصناعات التى تتوقف عليها المصالح المعاشية والحربية من فروض الكفايات

مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان فيهم — يعني أهل الشام — الابدال أربعين رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا » ولا توجد هذه الاسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب، ولا هي مأثورة على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الامة قبولا عاماً وانما توجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشايخ وقد قالها اما أثراً لها عن غيره أو ذكرا . وهذا الجنس ونحوه من العلم الذي قد التبس على أكثر المتأخرين حقه بباطله ، فصار فيه من الحق ما يوجب قبوله ومن الباطل ما يوجب رده . وصار كثير من الناس فيه على طرفي نقيض قوم كذبوا به كله لما وجدوا فيه من الباطل ، وقوم صدقوا به كله لما وجدوا فيه من الحق ، وانما الصواب التصديق بالحق والتكذيب بالباطل ، وهذا تحقيق بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من ركوب هذه الامة سنن من كان قبلها حذو القذة بالقذة ، فان أهل الكتابين لبسوا الحق بالباطل ، وهذا هو التبديل والتحريف الذي وقع في [illegible] (١) [illegible] تارة وبالنسخ أخرى

وهذا الدين لا ينسخ أبداً لكن يكون فيه من يدخل فيه من التحريف والتبديل والكذب والكتمان ما يلبس به الحق بالباطل ، ولا بد أن يقيم الله فيه من تقوم به الحجة خلفا عن الرسل ، فينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين (٢) ، ليحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون . فبالكتب المنزلة من السماء والآثار من العلوم المأثورة عن الانبياء يميز الله الحق من الباطل ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ،

وبذلك يتبين ان هذه الاسماء على هذا العدد والترتيب والطبقات ليست حقا في كل زمان بل يجب القطع بأن هذا على عمومه واطلاقه باطل ، فان المؤمنين يقلون تارة ويكثرون أخرى ويقل فيهم السابقون المقربون تارة ويكثرون أخرى وينتقلون في الامكنة ، ليس من شرط أولياء الله أهل الايمان والتقوى ومن

«١» المنار : لعل الاصل : بتغيير — بدل : بعدم .

«٢» هذا حديث أوله « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه » الخ

يدخل منهم في السابقين المقربين لزوم مكان واحد في جميع الازمنة ،
وقد بعث الله رسوله بالحق وآمن معه بمكة نفر قليل كانوا أقل من سبعة ثم أقل من أربعين ثم أقل من سبعين ثم أقل من ثلاثمائة فيعلم أنه لم يكن فيهم هذه الاعداد ومن الممتنع أن يكون منهم من كان في الكفار

ثم هاجر هو وأصحابه الى المدينة وكانت هي دار الهجرة والسنة والنصرة ، ومستقر النبوة وموضع خلافة النبوة ، وبها انعقدت بيعة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعثمان وعمر وعلي وان كان (علي) قد خرج منها بعد أن بويع له فيها . ومن الممتنع انه قد كان بمكة في زمنهم من يكون أفضل منهم

ثم ان الاسلام انتشر في مشارق الارض ومغاربها وكان في المؤمنين في كل وقت من أولياء الله المتقين بل من الصديقين السابقين المقربين من لا يحصي عدده الا رب العالمين لا يحصون بثلاثمائة ولا بثلاثة آلاف ، ولما انقرضت القرون الثلاثة الفاضلة كان [illegible] المتقين بل من السابقين من جعل لهم عددا محصورا لا [illegible] عمدا أو خطأ

وأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه الا الله تعالى فهو غياث المستغيثين لا يجوز لاحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا نبي مرسل. ومن زعم أن أهل الارض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم، ونزول الرحمة بهم، الى الثلاثمائة والثلاثمائة الى السبعين ، والسبعين الى الاربعين والاربعين الى السبعة والسبعة الى الاربعة والاربعة الى الغوث فهو كاذب ضال مشرك فقد كان المشركون كما أخبر الله عنهم بقوله (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه) وقال (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) فكيف يكون المؤمنون يرفعون اليه حوائجهم بعدة وسائط من الحجاب وهو القائل تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)

وقال الخليل عليه السلام داعيا لاهل مكة (ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس

بوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون * ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء، الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه لما رفعوا أصواتهم بالتلبية « أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا وانما تدعون سميعا قريبا ان الذي تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته »

وهذا باب واسع وقد علم المسلمون كلهم انه لم يكن عامة المسلمين ولا مشايخهم المعروفون يرفعون الى الله حوائجهم لا ظاهرا ولا باطنا بهذه الوسائط والحجاب فتعالى الله عن تشبيهه بالمخلوقين من الملوك وسائر ما يقوله الظالمون علوا كبيرا

وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لا بد في كل زمان من امام معصوم يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الايمان الا به ثم مع هذا يقولون انه كان صبيا دخل السرداب من أكثر من أربعمائة وأربعين سنة ولا يعرف له عين ولا أثر ولا يدرك له حس ولا خبر

وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم مضاهاة للرافضة من بعض الوجوه بل هذا الترتيب والاعداد يشبه من بعض الوجوه ترتيب الاسماعيلية والنصيرية ونحوهم في السابق والتالي والناطق والاساس والجسد وغير ذلك من الترتيب الذي ما أنزل الله به من سلطان ، واما الاوتاد فقد يوجد في كلام بعضهم أنه يقول فلان من الاوتاد ومعنى ذلك أن الله يثبت به من الدين والايمان في قلوب من يهديهم الله به كما يثبت الارض باوتادها وهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة فكل من حصل به تثبيت العلم والايمان في جمهور الناس كان بمنزلة الاوتاد العظيمة والجبال الكبيرة ، ومن كان دونه كان بحسبه وليس ذلك محصورا في أربعة ولا أقل ولا اكثر بل جعل هؤلاء أربعة مضاهاة لقول المنجمين في أوتاد الارض

(فصل) وأما القطب فيوجد في كلامهم أيضا: فلان من الاقطاب وفلان

قطب ، فكل من دار عليه أمر من أمور الدين والدنيا باطنا أو ظاهرا فهو قطب ذلك الامر ومداره سواء كان الدائر عليه أمر داره أو قرية أو مدينة أمر دينها أو دنياها باطنا أو ظاهرا ، ولا اختصاص لهذا المعنى بسبعة ولا أقل ولا أكثر لكن الممدوح من ذلك من كان مداراً لصلاح الدين دون مجرد صلاح الدنيا وهذا هو القطب في عرفهم ، وقد يتفق في عصر آخر أن تكافأ اثنان أو ثلاثة في الفضل عند الله ولا يجب أن يكون في كل زمان شخص واحد هو أفضل الخلق عند الله مطلقا

وكذلك لفظ البدل جاء في كلام كثير منهم فاما الحديث المرفوع فالاشبه أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم فان الايمان كان بالحجاز واليمن قبل فتوح الشام وكانت الشام والعراق دار كفر ثم في خلافة علي قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « تمرق مارقة على خير فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق » فكان علي وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشام ومعلوم أن الذين كانوا مع علي من الصحابة مثل عمار بن ياسر وسهل بن حنيف ونحوهما كانوا أفضل من الذين مع معاوية وان كان سعد بن أبي وقاص ونحوه من القاعدين أفضل ممن كان معهما ، فكيف يعتقد مع هذا ان الابدال جميعهم الذين هم أفضل الخلق كانوا في أهل الشام ؟ هذا باطل قطعا ، وان كان قد ورد في الشام وأهله فضائل معروفة فقد جعل الله لكل شيء قدرا

والكلام يجب أن يكون بالعلم و بالقسط فمن تكلم في الدين بغير علم دخل في قوله (ولا تقف ما ليس لك به علم) وفي قوله (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) ومن لم يتكلم بقسط وعدل خرج من قوله (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) ومن قوله (واذا قلتم فاعدلوا) ومن قوله (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)

والذين تكلموا باسم البدل فردوه بمعان منها أنهم ابدال ومنها انهم كلما مات منهم رجل ابدل الله مكانه رجلا ، ومنها انهم ابدلوا السيئات من

أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بالحسنات ، وهذه الصفات كلها لا تختص بأربعين ولا بأقل ولا اكثر ، ولا تحصر باهل بقعة من الارض ، وبهذا التحرير يظهر المعنى باسم النجباء . فالغرض ان هذه الاسماء تارة تفسر بمعان باطلة بالكتاب والسنة واجماع السلف مثل تفسير بعضهم بأن الغوث هو الذي يغيث الله به أهل الارض من رزقهم ونصرهم . فان هذا نظير ما تقوله النصارى في الباب وهو معدوم العين والاثر ، وتشبيه بحال المنتظر الذي دخل السرداب من نحو اربعمائة وأربعين سنة ، وكذلك من فسر الاربعين الابدال بأن الناس انما ينصرون ويرزقون بهم فذلك باطل بل النصر والرزق يحصل باسباب من اوكدها دعاء المسلمين المؤمنين وصلاتهم واخلاصهم ولا يتقيد ذلك لا بأربعين ولا بأقل ولا اكثر كما في الحديث المعروف لسعد بن ابي وقاص قال يا رسول الله الرجل يكون [illegible] فقال «ياسعد وهل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم [illegible] وصلاتهم واخلاصهم» وقد يكون النصر والرزق أسباب أخر فان الكفار ايضا والفجار ينصرون ويرزقون . وقد يجدب الله الارض على المؤمنين ويخيفهم من عدوهم ، لينيبوا اليه ويتوبوا من ذنوبهم ، فيجمع لهم بين غفران الذنوب ، وتفريج الكروب ، وقد يملي للكفار ويرسل السماء عليهم مدرارا ويمدهم بأموال وبنين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ، إما ليأخذهم في الدنيا أخذ عزيز مقتدر واما ليضعف عليهم العذاب في الآخرة فليس كل انعام كرامة ولا كل امتحان عقوبة قال الله تعالى (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن ◦ وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن ◦ كلا)

(للكلام بقية)

الخطاب

الذي خاطب به المحكمة الانكليزية العالم العلامة الاستاذ أبو الكلام

(٣)

وظيفة المسلمين اذا ظلموا

إن الشريعة الاسلامية رسمت للمسلمين خطتين اذا ظلموا ، خطة ضد استبداد الحكومة الاسلامية ، وخطة ضد استبداد الحكومة الاجنبية ـ والاولى تنحصر في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واعلان الحق وتقبيح الظلم من استطاع اليه سبيلا ـ أما الثانية فليست الا السيف والحرب [illegible] وضرب الرقاب وفي كلتيهما أمر المسلمون بأن يضحوا نفوسهم ويرحبوا بالموت صابرين ثابتين شاكرين ، راجين [illegible] كما تجرعوا كؤوس المنايا [illegible] في سبيل الحق ، كذلك باعوا رؤوسهم بيد الاجانب في إعلاء كلمة الحق ، وقد سبقوا سائر الامم في هذا المضمار ، فلا يوجد « لسعيهم الحربي » مثال ، ولا يوجد « لسعيهم المدني » مثال

ولقد كان يجب على مسلمي الهند الآن أن يتخذوا الخطة الثانية فيحاربوا الحكومة الانكليزية بالسلاح ويتفانوا في جهادها ، غير أنهم آثروا الاولى ، واعلنوا أنهم لا يرفعون عليها السلاح ، ولا يسفكون الدماء ، بل يطلبون متمسكين بعرى الامن والسلم ، وانما يقاطعونها ، وينفضون أيديهم من التعاون معها ويشهرون سوءاتها ، ويطلبون تغييرها « بالسعي المدني » ايى بما عاملوا كما كانوا يعاملون الحكومات الاسلامية الجائرة

أجل ان فيهم ضعفا ووهنا ، ولا يستطيعون محاربة الدولة البريطانية القوية ، الا أنهم لم يكونوا عاجزين عن إلقاء أنفسهم في أفواه مدافعها وسد طريقها بجثثهم الممزقة ، ولكنهم مع قدرتهم عليه اختاروا الخطة الاولى ، ولم يضيقوا عليها السبيل ـ

فهلا كان يجب علينا أن نفكر في صنيعهم وتسامحهم معنا ؟ فحسبنا أنهم يعاملوننا كما تعاملهم حكوماتهم الاسلامية !

انقلاب الحال

وإني أقول حقا إنه لا يؤلمني أن أرى الحكومة عازمة على معاقبتي ، وأنها لا تحاكمني الا الآن تزجني في السجون ، اذ هذا أمر لا بد منه ، وانما الذي يؤلمني فيفتت كبدي هو أن أرى الحالة تنقلب انقلابا تاما ، فبدلا من أن ينتظر من المسلم صدق اللهجة والقول الحق ، يطلب منه السكوت عنه وكتمان الشهادة ، وأن لا يقول للظالم « انك ظالم ! » لان قانون ١٢٤ يعاقب عليه !

ولقد كان المسلم في العهد الاول يوقف بين يدي ملك جبار لقوله له « انك ظالم » فيصب عليه العذاب الى ان تنشق له العصب ، ثم يعدون قصبة قصبة حتى يذهب لحمه كله ، فلا يسمعونه يستغيث أو يندم أو يتألم ، بل لا ينفك لسانه يقول ما قاله أولا (١) [illegible] قانون (١٢٤)

ولست أنكر أن الحقيقة المحزنة هي أن المسلمين أنفسهم مسئولون عن هذا الانقلاب المخزي وتسلط الاجانب عليهم ، لأنهم قد فقدوا خصائص الحياة الاسلامية ، وكسبوا جميع رذائل العبودية ، حتى أصبحوا بحالتهم الحاضرة أكبر فتنة للاسلام — أقول هذا وقلبي يذوب حزنا وكمدا على وجود أناس من المسلمين في هذه البلاد يتخذون أربابا من دون الله ويعبدون الظلم والظلمة جهرا وعلنا ، فالى الله المشتكى ثم الى الله المشتكى !

الحرية أو الموت

ولكن سوء حال المسلمين لا يسود ناصية تعاليم الاسلام الحق البيضاء المصونة بين دفتي الكتاب الحكيم — وهي لا تبيح للمسلمين في حال من الاحوال

(١) وقد فعل هذا الحجاج بن يوسف الثقفي مع حطيط الزيات الذي مرت حكايته آنفا — « المترجم »

أن يعيشوا عبيدا وخولا للاجانب والمستبدين بل توجب عليهم ان يحيوا أحرارا ، أو يموتوا كراما ، وليس بينهما سبيل .

وهذا الذي حملني قبل اليوم باثنتي عشرة سنة على أن أذكر المسلمين في الهلال (١) بأن الجهاد في سبيل الحرية ، وبيع الرءوس لاعلاء كلمة الحق هو ارثهم الاسلامي القديم الذي ورثوه عن أجدادهم العظام ، وانه يجب أن يحافظوا عليها بكل قوة ، وأن دينهم يحتم عليهم أن يسبقوا جميع أبناء وطنهم في الجهاد الوطني ، فلا يكونوا فيه أذنابا ، بل رؤوسا وأعلاما يهتدى بهم ـ ولقد كان من فضل الله ان دعوتي لم تذهب أدراج الرياح ، بل لقيت القبول والاجابة منهم ، وها نحن اولاء نراهم اليوم قد شمروا عن ساعديهم وعزموا عزما أكيدا على السعي والعمل مع اخوانهم الوطنيين من الهندوس والنصارى والمجوس لتحرير وطنهم من ربقة العبودية الاجنبية ، ولا يقر لهم قرار الا بعد نيل المرام

مسألة الخلافة

وإني لا أذكر هنا مظالم الحكومة قبل الخلافة الاسلامية لانها أشهر من أن تذكر ، ولكن الذي أريد التصريح به هو انه لم يمض علي يوم ولا ليلة في خلال السنتين الماضيتين الا وأعلنت تلكم المظالم على رءوس الاشهاد ، وصرخت بأعلى صوتي قائلا « إن الدولة التي تدوس الخلافة الاسلامية تحت اقدامها ولا تندم على ما اقترفته في الهند من الفظائع والمنكرات لا تستحق أن يخلص لها أحد من أبناء هذه البلاد ، لانها بأعمالها قد أصبحت عدوا ألد للاسلام والمسلمين ولسكان هذا القطر ! »

ولا الومن الحكومة أحدا غير نفسها على سقوطها في هذا المأزق الذي يصعب عليها الخروج منه ، لاني قد نبهتها سنة ١٩١٨ من معتقلي في كتاب مني الى (اللورد جيمسفورد) الوالي السابق فصلت لها فيه الاحكام الاسلامية التي تتعلق بالخلافة وجزيرة العرب ، وصارحتها بان الدولة البريطانية اذا نقضت عهودها واستولت

(١) الهلال مجلة لصاحب الخطاب

على الخلافة والبلاد الاسلامية ، توقع المسلمين في حالة حرجة جدا ولا يبقى لهم اذ ذاك الا أن يكونوا مع الاسلام أو مع البريطانية ، ومعلوم أنهم يؤثرون الاسلام عليها

ولكنها لكبرها وعجرفتها لم تبال بما كتبت ، فأنت كتابي ظهريا ونكثت أيمانها من بعد توكيدها ، فاحتلت دار الخلافة الاسلامية واستولت على العراق والشام وفلسطين ، وبسطت نفوذها على جزيرة العرب ، فعادت الاسلام والمسلمين علنا ، واضطرتهم الى مقاطعتها ونبذ معونتها والتبري من طاعتها (وهو أقل ما توجبه الشريعة في مثل هذه الحالة كما مر) ثم إنها باصرارها على غيها واعراضها عنهم واستنكافها من الانصات اليهم ، أيأستهم من نفسها ، حتى أيقنوا أن لا سبيل الى الحياة ونيل حقوقهم المغصوبة الا باسقاط هذه الحكومة واقامة حكومة وطنية بحتة ، وهي التي يسمونها في لغتهم « بالسوراج »

أعدل هذا أم ظلم ؟

والحاصل أن آرائي في هذا الباب جلية واضحة ، فاني لا أعد الحكومة الحاضرة الا (بيوروكراسيا) غير شرعي وعدما محضا في عين الحق والقانون ، وأرضا مئات (?) الملايين من أبناء البلاد ، فهم يمقتونها أشد المقت ، ويطلبون زوالها وسقوطها بأسرع ما يمكن ، لانهم ألفوها دائما تؤثر الرهبة والشدة في أعمالها على العدل والحق ، وتبيح سفك الدماء البريئة بدون رحمة ولا شفقة في (جليانوا لا باغ [1]) وتجلد الصبيان الذين ما عرفوا الذنوب بعد لأن ينحنوا أمام العلم البريطاني المثلث — ثم أنهم وجدوها لا ترتدع عن دوس الخلافة الاسلامية ، ولا تسمع الصيحات المتوالية التي تعلو من أفواه المسلمين وغيرهم ، وتسلم أزمير وتراقية الى اليونان ظلما وجورا ، وتسمح لهم باراقة دماء المسلمين

(١) هو ميدان محيط بالجدران بمدينة امرتسر من مقاطعة بنجاب ، قتلت فيه الجيوش الانكليزية مئات من الوطنيين ، رجالا وشيوخا وأطفالا ، كانوا اجتمعوا فيه ليتشاوروا في بعض القوانين الجائرة « المترجم »

أنهارا في سهول الاناضول .

ولقد رأوا جرأتها في سحق الحق غير قليلة ، وهمتها في لبس الصدق بالافك غير كليلة ، ولسانها في تكذيب الحقائق غير عيي ولا متلعثم ، فمع أنه يوجد في ولاية أزمير ٧٠ في المائة من المسلمين ، يعلن رئيس وزرائها بدون أدنى لكنة أن الاكثرية للنصارى ، ولقد وضع اليونانيون السيف في رقاب المسلمين وذبحوهم ذبح الانعام . هو يقلب الحقيقة فيتهم العثمانيين بالقتل وسفك الدماء ، ويشهر المظالم التركية المخترعة في العالم بلا مبالاة ، ويخفي بكل وقاحة تقرير لجنة التفتيش الامريكية التي ندبتها حكومته بنفسها ، ويؤلب على الاحرار العثمانيين الدول الغربية كلها ، ويدعوها الى محاربتهم واستئصالهم .

ثم انهم وجدوها لا تخجل ولا تندم على هذه الفضائح والمنكرات ، ولا ترغب في تلافيها واصلاح عوجها ، بل تمودت فستبد أكثر من قبل ، وتقهر البلاد وتكبح سعيها الشرعي السلمي ، [illegible] ، وما لعمله منذ ١٨ نوفمبر الى الآن ، من الاعمال الشائنة التي [illegible] لا نهاية وتمامها —

فياليت شعري ان لم أقل لمثل هذه الحكومة « انك ظالمة ، فاما أن تتوبي وإما أن تزولي » فماذا أقوله ? أفأ كذب وأقول لها : لا بل انك عادلة فلا تتوبي ولا تزولي ? لعمرالله أن هذا لا يكون أبداً !

وهل يستحق الظالم أن يبدل اسمه ويسمى بغير اسمه لانه يملك القوة والسجون والمشانق ? كلا بل أقول كما قال صالح ايطالية وبطل الحرية (مزيني) انا لا نسكت عن سيئاتكم لانكم تملكون قوة عما قليل تزول !

قرة عيني في « هذه الجناية »

اني لاعجب كيف تقدم الحكومة هاتين الخطبتين الناقصتين ضدي ? أفما كانت تجد غيرهما ? أفلا توجد هذه الاقوال بعينها وأكثر منها في الآلاف المؤلفة من الصحائف التي حبرتها ، وفي جميع خطبي التي خطبتها في

سائر أنحاء الهند ؟ فلو انها رجعت اليها لوجدتها ممتلئة من هذه الافكار الثوروية

الحكومة تعلم أني لست حديث عهد «بمبادئ الثورة» كما تسميها فلقد مارستها وأنا صغير، وباشرت الخطابة والكتابة فيها وأنا ابن ثماني عشرة سنة وأفنيت شبابي في عشقها والهيمان بها ودعوت أمتي اليها جهراً على مسمع من الحكومة وحرضتها على المطالبة بحقوقها منها ولذا اعتقلتني أربع سنوات ولكن الاعتقال لم يكن يمنعني من اداء واجباتي فظللت تحت المراقبة الشديدة ارفع صوتي بها وأدعو الناس اليها، لا سراً بل علنا في رابعة النهار - وكيف لا، وفيها قرة عيني، وهي مقصدي من الحياة، إن أعش أعش لاجلها وإن أمت أمت عليها (ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)

الحركة الاسلامية الأخيرة

كيف استطعت [illegible] التي أقلقت بهذه «الحركة الاسلامية» التي أحدثت انقلابا عظيما في أفكار المسلمين السياسية وأوصلتهم الى حيث تراهم الآن، فلهم بفيوضهم افكاري أصبحوا شركائي في الجريمة واستحقوا العقاب الذي تشرفني به الحكومة — وقد اصدرت سنة ١٩١٢ صحيفة باسم «الهلال» بثثت بها جراثيم هذا الذنب في المسلمين، فملكت بقلوبهم وسممت أفكارهم، فبعد ان كانوا أعداء لاخوانهم الهندوس وعقبة كؤداً في جهادهم الوطني، وآلة صماء بيد الحكومة، يعتقدون أن البلاد اذا استقلت، تغلب عليهم الهندوس وأسسوا دولتهم لأنهم اكثر عددا منهم - اصبحوا بدعوة «الهلال» يرجحون قوة الايمان والحق على قوة العدد والعدد، ودعتهم الى مساهمة الهندوس في الجهاد الوطني، فاصبحوا متحدين معهم وقاموا جميعا بالحركة الحاضرة. وغني عن البيان أن الحكومة لم تكن لتتحمل الحركة التي احدثتها «الهلال» فعمدت الى منعها واقفال مطبعتها ثم لما انشأت جريدة اخرى باسم «البلاغ» اعتقلتني وأني اصرح هنا بأن «الهلال» لم تكن الا دعوة «الحرية أو الموت» وإن

مايعمله الآن (مهاتما غاندهي) من بث الروح الدينية في الهندوس ، كانت « الهلال » قد فرغت منه سنة ١٩١٤ — وإن من المصادفات العجيبة أن المسلمين والهندوس مقاموا بالحركة الجديدة القوية الا بعد أن ملت فيهم الروحانية الدينية محل المدنية الغربية المادية —

مؤتمر الخلافة بكلكتا

ثم أني منذ خرجت من الاعتقال الطويل ما برحت أنشر هذه المبادئ بين الناس وأدعوهم اليها — ففي مؤتمر الخلافة الذي انعقد في ٢٨ و ٢٩ فبراير بكلكتا نفسها والذى رأست جلساته ، حملت المسلمين على أن يعلنوا القرار الآتي

« ان أصرت الحكومة على غوايتها ، ولم تصغ لمطالبنا في مسئلة الخلافة ، يضطر المسلمون بأوامر دينهم أن يصرموا جميع أواصر الولاء التي تربطهم بها ! »

وألقيت في هذا المؤتمر خطبة طويلة بينت فيها جميع تلك الامور بيانا تاما وهي توجد في هاتين الكلمتين —

التعاون والخدمة العسكرية

واقد شرحت في هذه الخطبة أن الشريعة توجب على المسلمين في الحالة الحاضرة أن يكفوا عن التعاون مع الحكومة وأن يقاطعوها مقاطعة تامة — وهذا هو « اللاتعاون » الذي أطلق عليه بعد اسم Non cooperation وتولى (مهاتما غاندهي) قيادته —

وفي نفس هذا المؤتمر أعلن : أنه لا يحل للمسلمين أن ينسلكوا في الخدمة العسكرية لهذه الحكومة ، لانها تحارب الخلافة والدولة الاسلامية ! وإن من أعجب العجب أن تؤاخذ الحكومة أناسا (١) وتعاقبهم لاعلانهم هذا الحكم في مدينة كراچي ولا تؤاخذني به ، مع أني صرحت مرارا في صفحات الجرائد

---

(١) سجنت الحكومة الاخوين الشهيرين محمد علي وشوكت علي وغيرهما سنتين لاعلانهم هذا في كراچي من مقاطعة السند (المترجم)

وفي خطبي ان أول من قدم هذا الاقتراح وأعلن هذا الحكم الديني ، هو أنا بعيني ، فقد قرر وصودق عليه في ثلاثة مؤتمرات تحت رياستي : أولا في كلكتاء ثم في بريلي ، ثم في لاهور — وقد أعلنته مرارا في غير هذه المؤتمرات ، ودعوت الحكومة الى معاقبتي فلم تجبني ، مع أني كنت أحق الناس وأولاهم بالعقاب عليه

وقد طبعت خطبة مؤتمر كلكتا بعد زيادات فيها ، ونشرت مع الترجمة الانكليزية مرارا ، وهي بمثابة جدول مكتوب لجرائمي وذنوبي —

حياتي كلها « جناية »

اني قد طفت البلاد الهندية كلها عدة مرات في خلال السنتين الماضيتين ، وحدي ومع (مهاتما غاندهي) ولا توجد بلدة الا وقد خطبت فيها على مسئلة الخلافة و بنجاب « وسوراج » واللاتعاون — وبينت جميع تلك الامور التي تحتوي عليها هاتان الخطبتان

ولقد انعقدت جمعية الخلافة الكبرى في ديسمبر سنة ١٩٢٠ مع الجمعية الوطنية العامة (بناغبور) وجمعية العلماء [illegible] ([illegible]) وجمعية الخلافة لمقاطعة (اوريسه) في اكتوبر (بآغره) وجمعية العلماء العامة في نوفمبر (بلاهور) وقد رأست هذه الجمعيات كلها ، وخطبت فيها خطباً طويلة ، قلت فيها ما قلت في هاتين الخطبتين ، بل أكثر منه وأشد

فان كانت مطالب هاتين الخطبتين لا تلائم الحكومة ، وتراني أستحق العقاب لاجلها تحت قانون ١٢٤ ، فلم لا تعاقبني على جميع خطبي وهي كلها مثلهما ، بل أشد وطأة على الاستبداد منهما ؟ بل إني مضطر الى التصريح بأني ارتكبت هذه الجناية مرارا يستحيل عدها ، بل ما عملت في السنتين الماضيتين غير هذه الجناية ؟

اللاتعاون السلمي

اننا قد وضعنا لجهادنا الحق خطة « اللاتعاون السلمي » أجل ، لن القوات

المادية واقفة امامنا بجميع اسلحتها القتالة ، ومواردها العظيمة ، تريد أن تسحقنا سحقا ، وتمحق الحرية والحق محقا ، ولكن هذا لايهولنا ، لاننا لانثق بالمادة والاسلحة المادية ، انما اتكالنا على الله الواحد القهار ، وثقتنا بالضحايا المتوالية التي نقدمها ، والثبات القوي الذي نظهره في هذه المعمعة القائمة بين الحق والباطل والحرية والاستبداد — واني لا أرى مثل (مهاتما غاندهي) أن استعمال السلاح لايجوز بحال ، فاني مسلم واعتقد أن استعماله مباح في المواقع التي أباحه الاسلام فيها — ولكني مع هذا أسلم بجميع دلائل (مهاتما غاندهي) في المسئلة الحاضرة واعتقد صحتها واني لعلى يقين من ربي في أن الهند ستفوز في قضيتها بخطة « اللاتعاون السلمي » ويكون فوزها مثالا عظيما لفوز القوة الروحانية والاخلاقية والحق على الباطل والمادة —



الحالة الحاضرة طبيعية

واني أكرر [illegible] ليس بأمر عجيب ولا غير منتظر [illegible] قمع الحرية والحق دأب الحكومات الجائرة وطبعها منذ الايام الخالية الى اليوم ولا ينبغي لنا أن نمني انفسنا بتغير الطبيعة لاجلنا

وهذا الضعف الطبيعي كما يوجد في الآحاد ، يوجد في الجماعات ، فكم من من الناس من يرد النزر اليسير المغصوب لانه لاحق له فيه ؟ وكيف تنتظر من دولة أن تتخلى عن قارة تسلطت عليها ووجدتها تدر كالبقرة الحلوب ؟ والقوة لاتقبل شيئا لانه حق وعدل ، بل تنتظر قوة مقاومة مثلها ، فاذا تصادمت بها خضعت لكل طالب مهما كان فاحشا فالحرب التي نشبت الآن بين البلاد والحكومة فلابد من طولها وامتدادها ، ولا تأتي النتيجة الا بعد شق الانفس . وان هذا الواضح جلي لكل بصير ، بل هو عادي مثل سائر احوالنا المادية فلا ينبغي أن نعجب منه أو نضجر —

واني اعلم بأننا لم يصبنا ما أصاب الامم قبلنا في هذا السبيل من العسف

والظلم ونقص الاموال والانفس — ولا ادري أهذا لضعف في مطالبتنا بالحقوق ووهن في سعينا وجهادنا ، أم لان ظلم الحكومة لم يبلغ منتهاه بعد؟ المستقبل رهين بكشفه وبيانه —

وقد علمنا التاريخ أن هذا التزاحم كما يبتدئ في كل زمن متشابها ، كذلك ينتهي دائما متشابها ، فالحرية والحق ينتصران و يعليان ، والاستبداد والباطل يخذلان و يسقطان، فاذا كنا صادقين في قضيتنا ، وصابرين في ابتلائنا ، ننجح ونفوز بلا ريب ، وتضطر هذه الحكومة التي تعاملنا اليوم كالمجرمين ، الى أن ترحب بنا غدا كالابطال والفاتحين !

الثورة

اني قد اتهمت « بالثورة » مهلا ، فروني افهم معنى « الثورة » أهي ذلك السعي الذي لم ينجح بعد ؟ ان كان هذا هو الثورة ، فنعم اني « لثائر » ومتمثل بين يديكم ، عاقبوني [illegible] ولكن اعلموا أن هذا السعي اذا تكلل بالنجاح فانه يسمى [illegible] وجهادا للحرية ، فقد كنتم بالامس تسمون قادة ايرلندة « ثوارا وعصاة » ولكن بأي اسم تخاطبه اليوم الدولة البريطانية ديواليرا وغريفث ؟ أهم ثوار الآن أم ابطال الحرية ؟

ولقد قال مرة قائد ايرلندة بارنل : مازال عملنا هذا يسمى في البداية « ثورة » وفي النهاية « جهادا وحربا مقدسة للحرية والوطن ! »

ناموس القضاء بالحق

انني مسلم وحسب المسلم يقينا كتابه الذي يؤمن به ، فالقرآن يدل على أن ناموس « انتخاب الطبيعة وبقاء الاصلح » ناموس عام ، كما يعمل عمله في الاجسام والمادة ، فيبقى منها الاصح والاصلح للبقاء كذلك يعمل في العقائد والاعمال ، فالاعمال الصالحة تخلد وتثمر ، والاعمال السيئة تفنى وتصير هباء منثورا واذا وقع بينهما نزاع غلبت الاولى وحلت محل الثانية : (فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال) (١٣ : ١٨)

ولذا يسمي القرآن العمل الصالح « بالحق » الذي معناه الثبوت والقيام ، ويسمي الشر والسوء « بالباطل » الذي من شأنه أن يزول — (ان الباطل كان زهوقا)

فالتدافع الذي نراه قائماً بين الحزبين سينتهي غدا بفوز الحق والصدق ، وبخسران الباطل والظلم — تلك سنة الله (ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا)

واني لا أدري أقريب يوم الفصل أم بعيد ؟ ولكنني أرى الجو قد اكفهر وتلبد بالغيوم ، واجتمعت الآيات على سقوط الامطار ، والويل كل الويل لمن يرى الآيات والنذر ، ثم لا يأخذ أهبته ، ولا يرتق فتقه ، ولا يسد ثغره ، وإني لأرى الحكومة من اولئك الذين لا تنفعهم الآيات والنذر فانها لا تزال متمادية في تيهها وخنزوانتها

وقد قلت في هاتين الخطبتين ان شجرة الحرية لا [illegible]تها ولا تستوي على سوقها الا اذا سقيت بماء الظلم والقهر، فها هي ذي الحكومة قد أخذت تسقيها بظلمها وقهرها !

وكذلك قلت فيهما : اخواني ! لا تحزنوا على من حبس منكم ، بل ان كنتم تطلبون الحق والحرية حقا ، فهلموا الى السجون واملأوها — فها نحن أولاء نرى السجون قد ازدحمت وامتلأت حجرها حتى لم يبق فيها محل للصوص والقتلة — واضطرت الحكومة الى تشييد سجون جديدة ؟

وكيل الدعوى ، البوليس ، والقاضي

وفي الختام أريد أن أسوق كلمة الى هذا النفر من بني جلدتي الذين يعملون ضدي في هذه القضية فأقول : أصحابي ثقوا باني لا أغضب ولا أحقد عليكم ، بل لا أتهمكم بالكذب والزور علي ، لان كل ما قلتموه في الشهادة حق وصدق ، ولكني أراكم قد عصيتم الله ربكم بمساعدة الحكومة في استبدادها وظلمها ومحاربتها للاسلام والانسانية — إني أعلم أن صوت الضمير يوبخكم في أعماق سرائركم ،

على ما تعملونه ، ولكنكم انما اضطررتم اليه اضطراراً ، لانكم لا تملكون ما تسدون به عوزكم ، وترزقون به أهليكم ، وليس فيكم قوة لتحمل البأساء والضراء في سبيل الحق ، فلذا لا أحنق عليكم ولا أعذلكم بل أعفو عنكم واستغفر لكم الله »

وأما وكيل الدعوى فهو أيضا أحد ابناء وطني ، ولا علم لي بسريرته وانما أرى علانيته ، وهي تشهد أنه لا حظ له في هذه القضية غير ما ينقده من النقود ، فانه أجير يعمل لاجرته فلذا لا أسخط ولا أحتمي عليه ، بل أدعو لجميع هؤلاء بدعوة نبي الاسلام (ص) لقومه : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون »

فاقض ما أنت قاض !

وأنت أيها القاضي ما ذا عسى أن أقول لك ؟ ان أقول الا ما قاله المؤمنون قبلي في مثل موقفي هذا : (فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا) فاني لا أحس بأدنى [illegible] القاضي لان خطابي مع الحكومة لا مع شخص واحد [illegible] الحكومة [illegible] في اصلاح أعمالها

واني لاختم خطابي بكلمات لفقيد ايطاليا وشهيد الحق « غاردينيو برونو » الذي كان اوقف مثلي أمام المحاكم فقال: « عاقبوني بأ كثر ما يمكنكم أن تعاقبوني به فاني اؤكد لكم أن ما يشعر به قلبكم من العطف والحنان عند كتابتكم الجزاء لا يشعر قلبي في مقابله بذرة من الفزع والهلع عند سماعي هذا الجزاء »

الخاتمة

أيها القاضي ، لقد طال الحديث وآن أوان الوداع ، فليودع كل منا صاحبه وان ما يدور الآن بيننا سيسجله التاريخ بين دفاتره و يعتبر به المعتبرون ، ولقد تشاركنا في ترتيبه على سواء ، أنا من هذا القفص للجناة ، وأنت من ذلك الكرسي للقضاة ، واني عالم بأنه لا بد من هذا الكرسي ، وكذلك لا بد من

هذا القفص ، فهلم بنا نفرغ من هذا العمل الذي سيكون عبرة وتذكرة للآتين ، فالمؤرخ ينتظرناه والمستقبل يترقب فراغنا لنسرع في المجيء اليك ولتسرع أنت في القضاء علينا . وإن هذا العمل لا يطول قليلا حتى يفتح باب لمحكمة أخرى ، وتلك المحكمة محكمة قانون الله الحق . الزمان يقضي فيها ، ويكون قضاؤه حقا وحكمه نافذاً اهـ —

المعاهدة البريطانية الحجازية

وخدعة الوحدة العربية



— ٢ —

تعليق وجيز على خلاصة المعاهدة

لم يظهر لنا أدل [illegible] الحجاز هذه المعاهدة عيدا للامة العربية ، فما أبعد الفرق بين المعاهدة [illegible] الحكومة التركية عيد النصر وهو يوم اعلانها عيدا وطنيا للترك ، وبين هذه المعاهدة التي جعل الملك حسين يوم اعلانها بمكة عيدا وطنيا للعرب ؟

معاهدة لوزان قررت استقلال الترك استقلالا مطلقا من كل قيد سياسي واقتصادي واجتماعي ، والمعاهدة البريطانية الحجازية قررت استعباد بلاد العراق وفلسطين وشرق الاردن بالوصاية البريطانية ، و بلاد الحجاز بالحماية الانكليزية ، فتلك جديرة بأن تجعل ذكراها عيدا وموسما ، وهذه جديرة ان امضيت بأن تجعل ذكرى خزيها مناحة ومأتما

بينت الجرائد المصرية ما في هذه المعاهدة من قيود استعباد العرب والحجاز — وبين المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس ما فيها من استعباد فلسطين والاعتراف بالحال الحاضرة فيها وما هي الا الاستعمار الانكليزي بالانتداب المتضمن الوطن القومي لليهود — وبينت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني هذا أيضا

وزادت عليه ماقبها من اقرار الانتداب في سورية الشمالية ايضا . واننا نسجل في المنار أهم ما ظهر لنا من غوائل هذه المعاهدة المشئومة بما لانعلم ان احدا سبقنا الى مثله ، ونسأل الله ان يقضي عليها بالفشل ، وحسبنا من اعياد ملك الحجاز (عيد النهضة) التي هي علة كل هذا الشقاء

(المادة الاولى) « تنص على منع استعمال بلاد كل من الحكومتين المتعاهدتين قاعدة لاعمال موجهة ضد الحكومة الاخرى »

ليس في هذا النص أدنى فائدة للعرب بل فيه من الضرر انه يحظر عليهم وعلى جميع مسلمي الارض أن يتواطئوا في الحجاز أو يتشاوروا في أي أمر ينكرونه على الانكليز من ظلم شعوبهم أو استعباد بعض بلادهم ، والاعتداء على حكوماتهم ، وكل ذلك واقع [illegible] وسائل المحافظة لهذه الحرية في مهد دينهم ليس مما أعطاه الله لهذا الرجل الذي نصبه الانكليز ملكا على بلادهم المقدسة التي جعل كتاب [illegible] ما لهذا الملك وأولاده ورجال حكومته [illegible] في مقابل ذلك شيئا فان الانكليز ان يمنعوا مسلمي الهند من الاعمال الموجهة الى الانكار على ملك الحجاز وحكومته وعليهم ايضا في سياستهم الحجازية والعربية لا في الهند ولا في انكلترة نفسها

واما (المادة الثانية) فهي مشتملة على ست قضايا بعضها خداع و بعضها خزي ونكال

(١) تعهد عاهل بريطانية بأن يعترف باستقلال العرب في العراق وشرق الاردن والدول العربية في شبه جزيرة العرب ما عدا (عدنا)

نريد قبل كل شيء أن نفهم معنى هذا الاستقلال — فان عند الانكليز ممالك وولايات تسمى مستقلة وهي ذات نظم مختلفة ، فنرى هنا أن الانكليز لا يزالون متمسكين بما يسمونه الانتداب — اي الوصاية — على العراق وفلسطين وشرق الاردن فكيف تكون مستقلة اذا؟ وهنالك حكومات عربية كانوا جعلوها تحت حمايتهم كلحج وحضرموت ولا نرى دليلا يدل على رفع هذه الحماية عنها ، والحجاز قد قيدها (موقتا) بمقررات النهضة من قبل ، وقيدتها هذه المعاهدة بما يأتي بعد ،

فما معنى استقلال هذه الممالك اذا ؟ واما حكومات اليمن وتهامة ونجد فهي مستقلة ولم ينكر الانكليز عليها استقلالها وإنما كل همهم تقييدها بعهود واتفاقات وامتيازات خادعة، تمهد لهم السبيل للعبث باستقلالها عند سنوح الفرص المناسبة. فاذا لم يكن هذا الاستقلال لفظا خادعا فليصرحوا في المعاهدة بالغاء الانتداب والحماية ... كيف وهي لم تعقد الا لتثبيت ذلك وتوكيده كما بيناه في القضية الخامسة أفيصح ان تعد هذه نعمة على العرب بأمرهم من سمى نفسه ملكهم بان يتخذوا ذكرى إعلانه عيدا لهم ؟

(٢) تعهد العاهل البريطاني بتعضيد هذا الاستقلال . هذه قضية مبهمة نخشى عواقبها ولا نرجى أو نلهاء فانها باب مفتوح التدخل في شؤون البلاد الداخلية بحجة تعضيد الاستقلال كما تدخل الانكليز والفرنسيس في شؤون بلاد اليونان في أيام الحرب فعزلوا ملكها [illegible] باستقلالها وقد كانوا صرحوا بأنهم ضامنون له ! فهل [illegible] عيدا ؟

(٣) التصريح بأنه لا [illegible] أصحاب البلاد الا ما ضمنته لهم به الحكومة البريطانية في صك الانتداب المرتبط بعهد بلفور لليهود وهو أنه لا يجري في البلاد شيء يجحف بحقوقهم الدينية والمدنية ، وهو حق سلبي محض معناه ان الحكومة البريطانية صاحبة السيادة على البلاد لا تمنعهم ولا تدع اليهود الذين نجعل هذه البلاد وطنا قوميا لهم ان يمنعوهم من الصلاة والصيام ، ولا البيع والشراء أو من التقاضي الى الحاكم مثلا ، — على اننا علمنا بالتجارب أن كل ضمان وعهد من قوي لضعيف لا ينفذ منه الا ما فيه مصلحة القوي ، وقد ضمن ملك الانكليز لمصر أن يدافع عنها في الحرب الكبرى ولا يكلفها شيئا في مقابلة ذلك — فكان من أمر سلطة جيشه العسكرية ان جعلت جميع ما تملك الحكومة المصرية والشعب المصري رهن تصرف الجيش وبقدر ما استفاده الجيش من مصر عشرات الملايين من الجنيهات دع تجنيده زهاء مليون مصري استعان بهم على فتح فلسطين والعراق .. فهل يصح — والحالة هذه — ان يتخذ يوم اعلان تسجيل

هذه الرزية العظمى عيدا للعرب ؟

(٤) اذا رغبت هذه الحكومات كلها أو بعضها في الاشتراك في الجمارك أو غير الجمارك بقصد التوسل به الى عقد حلف بينها فيما بعد وطلبت من العاهل البريطاني أن يروج رغبتهم فانه يسعى لذلك

ونقول ان كانت هذه الحكومات مستقلة استقلالا صحيحا فأي حاجة الى طلبها من ملك أجنبي ان يروج ما تريد تنفيذه في بلادها من تلقاء نفسها ؟ وهل وعد هذا الملك لهم بالسعي لذلك يصح ان يعد نعمة له عليهم يتخذون يوم اعلانها عيدا لهم ؟

(٥) يعترف «صاحب الجلالة الهاشمية بالمركز الخاص الذي للجلالة البريطانية في العراق وشرق الاردن»

ونقول ان هذا المركز الخاص المذكور بصيغة المعرفة — أي بلام العهد — لا يمكن تفسيره لغة ولا عرفاً — سواء كان العهد ذهنياً أو خارجياً — الا بالحال الحاضرة التي سموها الانتداب في هذه البلاد التي احتلوها وفي تنفيذه أن تكون كل حكومة فيها على الوضع الذي هي عليه الآن ومنه حكم فلسطين بما يستغيث اهلها منه من الادارة اليهودية والسيادة البريطانية

ثم نقول على سبيل الانذار والتحذير : إن استحلال ملك الحجاز لاقرار الانكليز على هذا ورضاه به يعد ارتداداً عن الاسلام باجماع المسلمين ، ولا يوجد عالم مسلم يمكن أن ينازعنا في هذا بعد العلم به، فهل يصح أن يستبدل بهذا جعله نعمة يمنها ملك الانكليز على «ملك العرب» يأمر هذا بجعل اعلانها عيدا للامة العربية ؟

(٦) يتعهد (صاحب الجلالة الهاشمية) بأن يبذل غاية جهده في التعاون مع جلالته البريطانية على القيام بتعهداته في المسائل التي تقع ضمن نفوذ جلالته الهاشمية بشأن هذه البلاد

ونقول يالله العجب كيف لم يكتف الانكليز من هذا الرجل بمطالبته أن يبذل في سبيلهم دينه وشرفه بان يعترف لهم بالاستيلاء على بلاد الاسلام المقدسة والتصرف

في رقبتها كيفما ارادوا حتى حملوه على التعهد لهم ببذل منتهى جهده على القيام بتعهداتهم في المسائل التي تقع ضمن نفوذ جلالته أي في الحجاز وغيره من البلاد العربية. ثم بالله العجب كيف يفرح هو بهذا وذاك ويأمر في بيت الله أن يجب على العرب اتخاذ يوم اعلانه عيداً وطنياً ؟

(المادتان ٣ و٤) يفرض فيها على ملك الحجاز المحافظة على العلاقات الودية بينه وبين حاكمي عسير ونجد وان يسعى لتسوية المنازعات على الحدود بينه وبينهما بالمفاوضات الودية ، ويتعهد ملك الانكليز في الثانية بالسعي لتسوية أمثال هذه المنازعات اذا رغب اليه في ذلك

ونقول أما الاول فحسن في نفسه ويغلب على ظننا ان الملك حسين لم يرض به وانه أهم ما أفاد الدكتور ناجي الاصيل الى لندن لاجل تعديله ، ودليلنا على هذا أنه في أثناء المفاوضة في عقد هذه المعاهدة قد اعتدى على نجد وعسير فارسل جيشاً احتل (أبها) عاصمة عسير التي كان أعطاها المرحوم السيد الادريسي لصديقه سلطان نجد عند عقد المعاهدة بينهما ثم انه اعتدى على بعض القبائل التابعة لنجد، ولكنه باء بالخيبة والخسران في كلتا الحملتين

(المادة الخامسة) فيها « يتعهد صاحب الجلالة البريطانية بان يصد بجميع الوسائل السلمية والممكنة أي اعتداء يقع على بلاد جلالته الهاشمية ضمن الحدود التي تقرر نهائياً »

هذه هي الطامة الكبرى والصاخة العظمى التي صخت مسامع العالم الاسلامي فعلا صراخه في جميع الاقطار وهي اهانة حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم بجعلها تحت حماية دولة لا تدين الله بدينهما بل هي طامعة في محوه وتنصير أهله. وقد اتفقت الجرائد المصرية والسورية التي ترجمت خلاصة المعاهدة الرسمية على التعبير بعطف الممكنة على السلمية — وعبر بعضها بالفعلية بدل السلمية — والعطف يقتضي المغايرة فيكون معناها والوسائل الحربية الممكنة اي من برية وبحرية وجوية واحتلال وغير ذلك . وهذا عين ما صرح به قبلا بسميه

ملك الحجاز بمقررات النهضة فهو قد اشترط فيها على الانكليز حماية البلاد في الداخل والخارج حتى حال الفتن الداخلية واعتداء الامراء الحاسدين ! !

(المادة السادسة) تنص على تعيين وكيل سياسي بريطاني في جدة ووكيل سياسي حجازي في لندن — وعلى قناصل حجازيين في انكلترة والهند — وقناصل بريطانيين في جميع سواحل الحجاز

ونقول ان لذة صاحب الجلالة الهاشمية في هذه المادة انها من مظاهر فخفخة الملك الصوري، والا فأين المصالح السياسية والتجارية للحجازيين في بلاد الانكليز ومستعمراتهم التي تقتضي بذل النفقات العظيمة لتأسيس الوكالات السياسية والقنصلية في هذه الممالك الواسعة وأين المال الذي ينفق في هذه السبيل؟ أيؤخذ من الضرائب والمكوس على أداء فريضة الحج؟

وأما الانكليز فلهم مصالح كثيرة في تطويق سواحل الحجاز برجالهم السياسيين والبحريين [illegible] في هذه البلاد المقدسة وما يخرج منها، و[illegible] هذه السواحل ومعرفة ما يمكن من القوة البرية والبحرية للاحاطة بها عند الحاجة التي يتوسلون اليها عند سنوح الفرصة باسم الحماية الممنوحة لهم من الجلالة الهاشمية المالكة المتصرفة بالدين ومعاهده أو باسم المحافظة على معاهدهم هذه وعلى رجالهم اذا اعتدى عليها أحد من أعراب البلاد — ولو بدسيسة منهم — وقد عهد في تاريخ الاستعمار البريطاني ان يكون دخول بريطاني واحد في قطر عظيم مقدمة لسلب استقلاله واذلال أهله لعظمتهم

وآخر الامثلة لهذا قنصلهم في جزيرة البحرين فقد سلب سلطة حكومتها وانفرد بالتصرف فيها وجعل حاكمها الصالح التقي الجاهل أذل من عير الحي والوتد

ومن دواعي الاسى والحزن أن هذه الحقيقة قد عرفت مثلها مالكة سبأ العربية منذ ألوف السنين ويجهلها صاحب « الجلالة الهاشمية » الذي يظن في نفسه انه أرقى الخلق علماً وخبرة وسياسة وكياسة حتى إن جريدته (القبلة) كانت تدعي انها تعلم دول أوربة الخطط الحربية بما ينشره من آرائه فيها — والذي

يدعي أن حكومته شرعية ويقرأ في القرآن قوله تعالى حكاية عن ملكة سبأ (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) وقد بلغت وصية النبي (ص) في أمر جزيرة العرب وأهم المراد منها أن لا يقيم في بلاد الحجاز غير المسلمين، ولا سيما الطامعين. وان دخول تاجر انكليزي في بلاد شرقية ضعيفة واقامته فيها ليعد أعظم خطر عليها من دخول ملك فاتح من المتقدمين، فكيف بدخول الرجال السياسيين والحربيين، اذا أعطوا صفات الحماة الحافظين؟ فاذا كان صاحب الجلالة الهاشمية يجهل تاريخ تأسيس امبراطورية الهنديسي شركة الهند البريطانية فان له في سودان مصر وجزيرة البحرين لعبرة ماثلة ان كان من المعتبرين، وقد بينا من قبل ان الانكليز قد أسسوا لادارة سواحل الحجاز وغيره من بلاد العرب محافظة جديدة سموها محافظة البحر الاحمر شرعت في أعمالها بهدوء وخفاء



(المادة السابعة) يعترف صاحب الجلالة بنظام الحجر الصحي الذي اتخذه الانجليز في جزيرة قمران لاجل الحجاج القادمين من جهة الشرق والجنوب — كما يعترف له ملك الانكليز « بالتدابير الصحية التي قد تتخذ في جدة أو غيرها من مرافيء بلاد جلالته »

ونقول إن هذه المادة تعترف الانكليز بما لا تعترف به لهم حكومة مصر الاسلامية، وموضوع هذه المادة ان يكون عملها في مسألة الحجر على الحجاج متمماً لعمل الانكليز في (قمران) لا مستقلا، ولا ندري كيف يكون تنفيذ ذلك وانما ظاهره يدل على ترجيح ملك الحجاز رفض قبول الحجاج الذين يحجر عليهم في (الطور) بحجر الحكومة المصرية الاسلامية وحتم ان يحجر عليهم ولو مرة ثانية في محجره بجزيرة (أبي سعد) مع ان هذا تضييق على الحجاج ليس له مسوغ شرعي ولا فني،

(المادة الثامنة) - يتعهد فيها ملك الانكليز بأن لا يتدخل في التدابير التي يتخذها ملك الحجاز للاعتناء بالحجاج - ويتعهد ملك الحجاز بان يعضد المساعي التي يبذلها الرعايا البريطانيون المسلمون لمساعدة الحجاج في الحجاز

ونقول لماذا جعل ملك الحجاز لملك الانكليز حقا في الاعتراف له بالاعتناء

بالحجاج اذا لم يكن هذا مبنيا على ان الحجاز داخل في دائرة الامبراطورية ، ثم ماهذا الاعتناء الذي يريده ويرى انه لايتم له الا باجازة ملك الانكليز ؟ ان الذي يتبادر الى الذهن ان العناية بالحجاج انما تكون بتأمين البلاد وتسهيل الطرق وتوفير المياه والعناية بمواد الغذاء والنظافة وتحتيم الاعتدال في أجور الجمال والمساكن - فهل يحتاج شيء من هذا الى اجازة ملك الانكليز وهو من أمور الادارة الداخلية المحضة ؟ ام لهذه الكلمة معنى سياسي خفي يراد به التحكم في الحجاج بمصادرة أموالهم وضرب المكوس عليهم ، واذا كان هذا أو ذاك يتوقف على اجازة ملك الانكليز لان له رعايا من الحجاج فلماذا لا يتوقف على اجازة سائر الدول والحكومات التي لها رعايا يحجون كمسلمي الدولة البريطانية ، وما وجه تخصيص هذه الدولة بهذا الحق اذا لم يكن منقذ الحجاز والعرب قد جعل كل ما يدخل في ملكه تابعا لمستعمراتها ؟

ثم إن تعهد ملك الحجاز في هذه المادة بتخصيص مساعي الرعايا البريطانيين لمساعدة الحجاج في أنفس الحجاز يقتضي أن يقبل منهم بعد امضاء هذه المعاهدة ما منع منه الحكومة المصرية في هذا العام من البعثة الطبية المرافقة لركب المحمل المصري مع اننا رأينا في الاعتذار له عن قبولها أنه يفتح الباب لغير دولة مصر من الدول غير الاسلامية لارسال بعثات طبية - فما الذي أباح للبريطانيين ما حرم على المصريين؟ أليست الدولة المصرية الاسلامية، أولى بهذا من الدولة البريطانية؟ اذا لم يكن الحجاز كله تابعا لهذه الامبراطورية ؟

(المادة التاسعة) « تنص على تعيين مبلغ محدود كي يدفعه كل حاج »

ونقول هذا نص صريح في ضرب المكوس على الحجاج باطلاق. ولاشك في أن هذا محرم باجماع المسلمين ولاسيما اذا جعل شرطا لدخول الحجاز لاجل النسك كضريبة جواز السفر ومن يستحله يكون مرتدا عن الاسلام. هذا حكمه الشرعي ، أما حكمه السياسي فيقال فيه ماقيل فيما قبله لماذا جعل منوطا باجازة ملك الانكليز له دون غيره من ملوك المسلمين وغيرهم الذين تضرب هذه المكوس على رعاياهم؟ أوليس

الواجب أن لا يكون في الحجاز نفوذ ولا وجود لاجنبي غير مسلم ؟

وماذا يقول ملك الحجاز اذا خاطبته هذه الحكومات بأنه ليس له حق أن يتقاضى من رعاياهن مكوسا بغير اتفاق معين عليها كما اتفق مع الانكليز؟ أيحتج بالحماية والوصاية؟ أم يعاملها كما عامل الحكومة المصرية؟

(المادة العاشرة) - في الاعتراف بما لرعايا كل من الحكومتين في بلاد الاخرى من الصفة وهي مجملة لا يمكن العلم بما فيها من ضر أو نفع الا بعد بيان صفة كل منها وهو لا بد ان يكون مبينا في اصل المعاهدة

(المادة الحادية عشرة) ومابعدها الى (السادسة عشرة) في تفصيل الامتيازات القضائية للانكليز في بلاد الحجاز وكل مايتوقعون أن يدخل في ملك حسين بن علي وكلها تنافي الاستقلال التام وتنفيذ الشرع الاسلامي في الحجاز في المسلمين التابعين للدولة البريطانية، وهذه المسألة قد رفض المصريون مثلها في مفاوضة الانكليز، وقد رفضها الترك ومازال [illegible] حتى تقدر دولتهم من رقها، وملك الحجاز يقبلها [illegible] بلا موجب ولا مقتض ولا مقابلة لها بمثلها ، فما أذل هذا الرجل للبريطانيين! وما أعزه وأعظم جبروته وكبرياءه على المسلمين !!

(المادة السابعة عشرة) « تعالج الشروط التي بموجبها يعترف صاحب الجلالة البريطانية بعلم الجلالة الهاشمية » وهي مجملة لا يمكن بيان الرأي فيها الا بعد بيان الشروط المشار اليها فيها وستعلم متى نشرت المعاهدة بنصها

(المادة الثامنة عشرة) تصرح بأنه لا يجوز لاي الفريقين المتعاقدين الساميين أن يعقد أية معاهدة أو اتفاق مع فريق ثالث ضد مصالح الفريق المتعاقد السامي الآخر»

ونقول إن هذه مادة عادلة في صورتها لما فيها من التساوي وانما يقال فيها ما يقال في المعاهدة بجملتها وهو ان الانكليز يقيدون فيها الحجاز ولا يتقيدون معه في شيء بالفعل، كما قد لوا فيا اتفقوا عليه عند حمله على الخروج على الدولة العثمانية، وذلك ان المعاهدات عند اوربة حجة القوي على الضعيف، والانكليز أبرع الامم في

التفصي من الوفاء بها بالتأويل، كما قال البرنس بسمارك، أوهي عبارة عن عقد شركة بين طرفين متكافئين في القوة كما قال لويد جورج، وقد لدغ الملك حسين من هذا الجحر المرة بعد المرة ولا يزال لاصقا به متعرضا لتوالي لدغه، فلم يكن له حظ من حديث «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين».

(المادة التاسعة عشرة) «تنص على ان لاشيء في هذه المعاهدة يبطل ما قد تعهد به او قد يتعهد به احد الفريقين المتعاقدين السامين بمقتضى عهد جمعية الامم»

ونقول إن ذكر الفريقين السامين هنا كثيرا من المخدرات التي تخدر أعصاب الملك حسين وتشغله بنشوة توهم مساواته بما يسميه «العظمة البريطانية» فهو ما تعهد بمقتضى عهد عصبة الامم بشيء، وانما تعهد الطرف الآخر بالانتداب على أعظم بلاد العرب عمرانا وخصبا بالاشتراك بينه وبين فرنسا فامضاء الملك حسين لهذه المعاهدة يسلبه حق مطالبة الانكليز بترك هذا الانتداب على العراق وفلسطين وشرق الاردن [illegible] صك الانتداب والوصاية على فلسطين بمقتضى عهد جمعية الامم

(المادة العشرون) في تحديد مدة العمل بهذه المعاهدة وجعله سبع سنين، وهي المدة التي يقدرها الانكليز لفض المشاكل وحل المعضلات السياسية والاقتصادية التي خلفتها الحرب الكبرى، ولتأسيس قوى الطيران والمواصلات الجوية والحربية في شرق الاردن والعراق ومصر والقوة البحرية ومراكز المسالح في سواحل الحجاز وغيرها من البحر الاحمر، وهم يعتقدون ان «ملك البلاد العربية» سيضطر بعد هذا كله الى تجديدها عاهو خير لهم وشر له ولبلاده ولقومه معا.

فهذه كلمتنا المجملة المختصرة في النص الرسمي الذي نشر خلاصتها وقد كان من المعقول المتوقع ان يضطرب العالم الاسلامي كله لها ويستنكر ما فيها من تدخل دولة غير مسلمة في مهد الاسلام المقدس بالحماية والامتيازات السياسية والقضائية والحماية وما تقتضيه من الخزي والنكال،

ولكن العجب العجاب ان يشذ مسلمو سورية وفلسطين وحدهم عن سائر

المسلمين اذ لم تر لهم قولا ولا احتجاجا في استنكار شيء منها الا ما انكره أهل فلسطين وهو ما يخصهم من تضمن المعاهدة لا قرار الانتداب وما فيه من عهد بلفور ، كأن حرم الله تعالى وحرم خاتم رسله (ص) لا قيمة لها عند احد من مسلمي تلك البلاد ؟ ولماذا يطالبون العالم الاسلامي ان يهتم بأمرهم لمكان المسجد الاقصى منه وهو في المرتبة الثالثة ؟

فياليت شعري هل جهل علماؤهم ومديرو جرائدهم ومحرروها ورجال الشرع والقوانين فيها ما فهمه المصريون وغيرهم من معناها أمهم يرون ان الملك حسين ان يتصرف في دين الله ومعاهده المقدسة بما شاء وان خالف احكام الشرع المجمع عليها وكرامة الاسلام ومشاعره العظام بشرط أن لا يقر وعد بلفور عند بعضهم ؟

فاذا كانوا لا يرون في هذه المعاهدة [illegible] شرعيا ولا خطرا سياسيا الا تضمنها لوعد بلفور فليبينوا لنا خطأنا فيما فهمناه نحن وغيرنا من المسلمين، والا فليرفعوا أصواتهم في [illegible] لتغيير الطريق الذي يفضلونه ، والا [illegible] سكوتهم عارا عظيما عليهم، وتأييدا لمرتكب المنكر وتجرئة له على الاصرار عليه، بل الامر أعظم من ذلك هو اقراره مع أولاده على القضاء على استقلال بقية البلاد العربية ، حتى الجزيرة التي عزت على جميع الفاتحين من قبل . ولقد كان استعبادهم لمصر والسودان وحماية فرنسة لمملكة مراكش وسلاطينها أولاد عم شرفاء مكة بما هو دون تداخل الانكليز في البلاد العربية الآن بمعاونة هؤلاء الاشراف والزعماء فليتدبر العقلاء أصحاب الغيرة على أمتهم ودينهم .

(نص البيان الذي اصدره المؤتمر الفلسطيني السادس عن المعاهدة)

« يعلن المؤتمر العربي الفلسطيني السادس المنعقد في يافا رفض مشروع المعاهدة التي نشرت حكومة فلسطين خلاصتها رسميا بتاريخ ٥ حزيران سنة ١٩٢٣ وفيها أن المعاهدة لم تبرم نهائيا وان المفاوضات بشأنها بين جلالة الملك

حسين وحكومة بريطانيا العظمى جارية حول تعديلات طفيفة لا تزال مجهولة وان هذا المؤتمر الممثل للامة العربية الفلسطينية يرفض كل مشروع لا يضمن لها ولوطنها المقدس مطالبها العادلة المعلومة التي ذكرت تأييدها المؤتمرات السابقة من استقلال البلاد والغاء السياسة الصهيونية الفاضحة وقد أبرق المؤتمر بذلك الى صاحب الجلالة الهاشمية

قبل هذا النص بعد حوار قليل وبعد ان زيد في آخره ما اقترحه السيد عمر البيطار من ذكر البرقية التي ارسلت لجلالة الملك حسين

﴿ صورة البرقية التي اقترح هذا المؤتمر ارسالها الى الملك حسين ﴾

«حاولت حكومة فلسطين محو السرور الذي احدثته برقية جلالتكم التبشيرية بنشرها مشروع المعاهدة الانكليزي المناقض لبرقية فاغتم الاهالي ودعت الحالة لجمع مؤتمر عام بيافا قرر عرض الشكوى لاعتابكم التي لا يمكن ان تقبل مثل هذا المشروع ولن يقبله فلسطيني مادام فيه رمق حياة واسترحام التفضل على أهل البلاد باطلاع ممثليها على ما يتعلق بهم في المعاهدة قبل ابرامها نهائيا لازلتم للقضية العربية بجميع وجوهها وقبلة اجلال العرب واحترامهم»

فجرت مناقشة طويلة في نص البرقية وأخيرا تقرر قبولها بعدان اقترح السيد عيسى العيسى زيادة «سيما فيما يتعلق بفلسطين» بعد جملة مشروع المعاهدة الانكليزي المناقض للبرقية وزيادة كلمة «الاسراع» بعد الاسترحام

وقد أجاب الملك حسين عن هذه البرقية ببرقية هذا نصها «حسنوا الظن» وكيف يحسن العاقل الظن بالامر المعلوم ضرره وفساده بالقطع ؟

﴿ صورة البرقية التي ارسلها المؤتمر ﴾

الى رئاسة الوزارة . وزارة الخارجية . وزارة المستعمرات . رئاسة مجلس الاعيان رئاسة مجلس النواب والجمعية الوطنية السياسية بلندن

« قرار المؤتمر العربي الفلسطيني السادس المنعقد في يافا والممثل للامة رفض مشروع المعاهدة الانكليزي المقدم لجلالة الملك حسين والذي نشرت حكومة فلسطين خلاصته لانه مخالف للعهود المقطوعة للعرب ولحقوق الشعب الفلسطيني ومطالبه بالغاء السياسة الصهيونية وبتأسيس حكومة وطنية نيابية مستقلة . والامة ترفض كل مشروع لا يضمن جميع مطالبها وقد أبرقنا بهذا لجلالة الملك حسين »

« بيان اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطيني بمصر »

في شأن المعاهدة الذي نشرته في الجرائد

« عقدت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني جلسة فوق العادة في ٢٠ يونيه ١٩٢٣ للبحث في حظ الوطن السوري من المعاهدة البريطانية العربية التي قررت مبادئها ولا تزال موضوع المفاوضة الدائرة بين مكة ولندن . وبعد البحث والمناقشة في الخلاصة الرسمية التي نشرتها حكومة فلسطين أخيرا لهذه المعاهدة تقرر بالاجماع اصدار البيان الآتي : —

ان المادة الثانية من هذه المعاهدة تنص على اصرار الحكومة البريطانية على موقفها الحاضر في فلسطين ، ولم تعترف لاهلها العرب فيها بحق من الحقوق السياسية والقومية غير ما تضمنه صك الانتداب وعهد بلفور من الحق السلبي وهو أن لا يجري في البلاد ما يجحف بحقوقهم المدنية والدينية

وتنص أيضاً « على اعتراف صاحب الجلالة الهاشمية بالمركز الخاص الذي لصاحب الجلالة البريطانية في العراق وشرق الاردن وفلسطين »

« ثم ان المادة التاسعة عشرة تنص على ان لا شيء في المعاهدة يبطل أي عهد أو تعهد قد يتعهد به في المستقبل أحد الفريقين المتعاقدين بمقتضى عهد جمعية الامم

« ولا يخفى أن المركز الخاص المشار اليه هو ما يسمونه الانتداب الذي كان صاحب الجلالة الهاشمية يأبى الاعتراف به قبل هذه المعاهدة فنصت على

اعترافه به فيها بأسلوب سياسي في كل من العراق وشرق الاردن وفلسطين كما انطوت على الاعتراف ضمنًا بتجزئة سورية وبوعد بلفور في الوطن القومي لليهود

« ومن المعلوم أن مجلس جمعية الامم قرر انتداب فرنسا على سورية الشمالية (سورية ولبنان) وانتداب انجلترة على سورية الجنوبية (فلسطين وشرق الاردن) فالانتداب باق اذن على حاله لا تنقض هذه المعاهدة شيئا منه

« فاللجنة التنفيذية المؤتمر السوري الفلسطيني الامينة على ما قرره مؤتمر جنيف من طلب الاعتراف باستقلال البلاد واعلان إلغاء الانتداب تصرح بأن كل اتفاق وكل معاهدة تتضمن ما يخالف هذه القرارات في الوطن السوري هي باطلة في نظر أهله الذين لا يقبلون شيئًا يخالف حقوقهم الطبيعية والشرعية في تقرير مصيرهم

« فبناء على هذا لا تكون هذه المعاهدة مقيدة أهل سورية وفلسطين ولبنان بحق لاحد فيها ، ولا يقيد بتاتًا بعلاقة ولا بخطة الطرفين المتعاقدين ولا الحلفاء ولا الولايات المتحدة بما كان وعد به أهل هذه البلاد من ضمن البلاد العربية المنفصلة عن تركيا من حق الاستقلال وتقرير المصير

« لتحيا سورية حرة مستقلة »

(المنار) اتفقت الاحزاب والجماعات والصحف العربية على ان المادة الثانية من هذه المعاهدة صريحة في استثناء فلسطين من الاستقلال الخادع المذكور في المادة الاولى وجاءت البرقية الانكليزية من لندن مصرحة بهذا ولكن الملك حسينا لا يزال يصرح في قبلته بما أراد أن يقنع به أهل فلسطين وغيرهم بخلاف ذلك . وهذا الاصرار من أغرب وقائع عناده المعهود ، وأغرب منه أم رار دعاة المأجورين في فلسطين على وجوب الاعتصام بحبله غير المتين ، بغير حياء ولا خجل من العالمين ، وحجة بعضهم أن نيته حسنة في هذا كما كانت حسنة في مساعدة الانكليزية لى فتح بلادهم وتهنئتهم به ، فليهنئوا بسياسة حسن البة ، وسياسة الصوفية !!

ذكرى رينان فى الجامعة المصرية

محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق في رينان والافغاني

كلمة المنار في المحاضرة

(٤)

(٤) قال رينان «إن المسلم يؤمن بأن الله يهب الرزق والسلطان لمن يشاء من غير نظر الى تهذيب أو استحقاق خاص وهو بإيمانه هذا يزدري أشد الازدراء العلم والتهذيب وكل ما يدخل في تكوين الروح الاوربي»

واننا نجيب عن هذا جوابا موجزا يظهر جهل رينان بالاسلام والمسلمين ويحيط عنه ، ويؤيد ما حققناه في معنى رد السيد جمال الدين عليه فنقول :

ان عقيدة المسلمين [illegible] فلسفته ومن علم جميع فلاسفة الارض وان زعم ان عقول العرب [illegible] شيئا من علم ما وراء الطبيعة . فهم على موافقتهم لغيرهم من المؤمنين بالله في إثبات المشيئة والارادة له تعالى يقولون: ان متعلقات هذه المشيئة قسمان : قسم قدري تكويني ، وقسم ديني تشريعي ، و بين القسمين العموم والخصوص المطلق فيجتمعان في بعض الامور و ينفرد أحدهما ببعض .

فأما ما يجتمعان فيه فمثاله كسب الرزق من الحلال وانفاقه في سبيل البر والخير، ونيل الرجل العالم العادل السلطان باختيار الامة واقامته ميزان العدل فيها .

وأما ما ينفرد به أحدهما عن الآخر فمثاله كسب الرزق من الطرق المحرمة كالغش والخيانة ، ونيل الامارة والسلطان بالتغلب والقهر ، فهذا مخالف لدين الله وشرعه ، ولكنه لايقع الا بمشيئته التكوينية وقدره ، ومعنى هذا انه سبحانه جعل نظام هذا العالم مبنيا على الأسباب والمسببات وجعل لذلك سننا عامة وهي ما يعبر عنه في عرف العصر بالنواميس الطبيعية والاجتماعية ، وفي عرف القرآن بالاقدار

والمقادير و بالسنن قال تعالى (قد جعل الله لكل شيء قدرا) وقال (الله يعلم ماتحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) أي فلا شيء منها بجزاف ولا بخارج عن النظام ، فمن راعى هذه السنن في الكسب وفي الاستيلاء على البلاد والعباد قد ينال ماسعى اليه بمشيئة الله التكوينية وقدره في نظام العالم ، وان لم يراع شرعه وهداية دينه في أسباب ذلك ولا في نتيجه كاستيلاء المستعمرين من قومه وغيرهم باتقان أسباب القوة على المستضعفين المهملين لها .

ولما كان المسلمون يفهمون أصول دينهم حق الفهم كانوا يتحرون الجمع بين أحكام الشريعة الدينية الآمرة بالحق والعدل والفضيلة والاحسان ، وبين مراعاة سنن الله في غيرهم ، فاجتمع لهم بهداية دينها الحضارة والسيادة والغنى والنعمة ، والعدل والفضيلة والتقوى .

ولما استحوذ [illegible] حكومتهم الى غير أهلها وتغلب همج الاعاجم عليهم بالقوة القاهرة أعرضوا عن الفقه في سنن الله الاجتماعية وعن هدايته الدينية معا ، وكان مما أدخله جهلة الصوفية ومبتدعة الجبرية في عقائدهم بدسائس حكامهم ان الملك والرزق والظلم والفسق كلها من قدر الله تعالى فيجب الرضى بها وعدم الاعتراض عليها ، وكذا عدم مقاومتها بالاولى ، وبنشر هذه السموم طال ملك أولئك الظالمين ، وتمتع أولئك الفاسقون ، حتى سلبه منهم من هم أشد مراعاة لسنن الكون والاجتماع ، وكل هذا مخالف لنصوص القرآن والسنة ولما قرره الائمة الراسخون في العلم من المتكلمين والصوفية أيضا كالشيخ عبد القادر الجيلاني الذي صرح بوجوب مقاومة الاقدار بالاقدار ، أخذا من قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي وافقه عليه جمهور الصحابة : نفر من قدر الله الى قدر الله . قال هذا حينما قرر بعد مشاورة جميع شبانهم وشيوخهم عدم دخول الشام والوباء فيها . ومثل ذلك وجوب مقاومة الظلم وأهله فليس في الاسلام مثل ما في الانجيل من وجوب الخضوع لكل سلطة لأنها من الله بل فيه ضده

كما سرأي وإنما ذلك من خرافات المتصوفة

وانه يحق لريتان أن يسخر من جميع المسلمين بما عليه هو وقومه من فشو هذه الضلالة بين مسلمي الجزائر وسائر افريقية حتى تسنى لمن تلبس بالاسلام وتعمم بعمائم شيوخ الطريقة من قومه أن يبثوا فيهم وجوب الرضى بسلطتهم وتحريم التبرم بهم والكراهة لشيء من أحكامهم وأعمالهم بشبهة أنه يتضمن الاعتراض على الله والكراهة لقضائه وقدره بزعمهم !! وأنى لاولئك المحرومين من علوم الدين والدنيا ان يميزوا بين الرضا من الله تعالى وعدم الاعتراض عليه ، وبين ما أوجبه من عدم الرضا بالمقضي والمقدور نفسه اذا كان ضارا أو مخالفا للشرع ، ومن وجوب مقاومته بما يعلم من سنن الله تعالى واقداره ؟ ومثاله المرض : لا نعترض على الله تعالى اذا مرضنا ولا نسخط على تقديره اصابة من يتعرض لاسباب الامراض فيها ، ولكن يجب ان نكره المرض وان نقاومه بالدواء والمعالجة بعد وقوعه ، وباتقائه قبل وقوعه ، كما قرر جمهور الصحابة [illegible] الوباء منها بالاجماع فثبت بهذا ان [illegible] هو مخالفة قواعد الاسلام لا الاهتداء بها

وانا نذكر المفتونين بفلسفة ريتان والمشيدين بفلسفته من قومنا بعض الشواهد من نصوص القرآن على ان مشيئة الله التشريعية لا تقضي بأن يكون السلطان في الدنيا لمن لا أهلية له ولا استحقاق ولا مزية في الفضل ، بل الامر بالضد

(١) أخبرنا الله تعالى في سورة البقرة أنه وعد نبيه وخليله ابراهيم (ص) بانه يجعله اماما للناس فسأله ابراهيم أن يجعل من ذريته أئمة مثله فاجابه تعالى بقوله (لا ينال عهدي الظالمين) أفليس هذا نصا صريحا في أن الامامة والسلطان في الناس لايكونان عهدا من الله تعالى لاحد من الظالمين ، وان كانوا من ذرية الانبياء المرسلين ؟ بلى وقد فهم هذا الحكم من الآية أئمة المفسرين ، فقالوا أن الآية تدل على أن الظالم لا يصح في دين الله أن يكون اماما للناس في أمور دينهم ولا أمور دنياهم أي لا يكون خليفة ولا سلطانا ولا أميرا وقد ذكرنا بعض

أقوالهم في فاتحة كتاب الخلافة وفصلنا المسألة فيه

(ب) قال تعالى في الآيات التي أذن فيها للمسلمين بان يقاتلوا من قاتلوهم من أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم بغير حق، بل لاجل توحيدهم لله عز وجل، (الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فالدين الذي يشترط على أهله في المدافعة عن أنفسهم واعطائهم السلطان في الارض أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر هل يقال انه يعطي السلطان لمن شاء بدون تهذيب ولا استحقاق ؟ والآيات والاحاديث في هذا المعنى كثيرة

(ج) قال الله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) ومعلوم أن الصلاح ضد الفساد . وقد ذم الفساد والافساد في الارض من الملوك وغيرهم وتحقيره في عشرات من الآيات في سور كثيرة . قال (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) وهذا دليل على أن المراد بالصالحات أعم من العبادات البدنية لانه مقابل لكل ما هو افساد في الارض، وهو يشمل افساد النبات والحيوان والانسان، بأي طريق وأي وسيلة وكل شكل من أشكال الفساد، كما أن إرث الارض فيها عام يشمل الدنيا والآخرة، فلا يرث الارض في حكم الله ومقتضى دينه الا الصالح، وخص الارض بعض المفسرين هنا بالمقدسة وبعضهم بالجنة، ويدل على ارث الملك والسلطان في الارض المقدسة أو مطلقا آية الشاهد التالي وهو

(د) قال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) الآية

(ه) قال تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) فسر بعضهم الظلم هنا بالشرك أخذا من قوله تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) ومن غيره. والمعنى عليه أنه ليس من سنة الله أن يهلك الامم بسبب الشرك به اذا كان أهلها مصلحين في الارض بالعدل والعمران . وقال بعضهم ان المعنى وما

كان من شأن ربك ولا مما مضت به سنته في العمران أن يهلك الامم بظلم منه وهم مصلحون في أعمالهم — أي اذا أهلكهم وهم مصلحون يكون ظالما لهم وهو منزه عن الظلم . ويؤيده ما ورد من الآيات الكثيرة في إهلاك الظالمين ، وادالة الدولة للعادلين المصلحين ، ونكتفي منها بالشواهد الثلاثة الآتية

(و ، ز ، ح) قال تعالى (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة أن أخذه اليم شديد) وقال (فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الارض من بعدهم) وقال (فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد) وحث بعدها على السير في الارض والاعتبار بآثار الامم

هذا قليل من كثير من شواهد القرآن على أن الله تعالى لا يعطي السلطان في الارض لمن شاء من غير أهلية ولا استحقاق ، مطلقا كما زعم ريذان بل هو يعطيها لمن شاء من أهل العدل والاصلاح ، ولو بالنسبة الى غيرهم وان لم يكونوا عادلين ومصلحين مطلقا

وأما مسألة الرزق فليس من سنته في الاجتماع البشري أن يخص الله بالرزق الصالحين المصلحين ولا المتقين بل قال (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) ولكنه على هذه السنة قد خص أهل التقوى والاستقامة بما يؤخذ من الشواهد الآتية :

(ط) قال تعالى (وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا)

(ي) قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) ولكنه قرن الرزق بالسعي بما يدل عليه

(ك) قوله تعالى (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه)

(ل) قال تعالى (واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) قال الربيع رضي الله عنه أي أنهم اذا شكروا النعمة زادهم من فضله وأوسع لهم في الرزق . ومن شكر النعمة عند علماء الاسلام حفظها وحسن التصرف فيها بوضعها في مواضعها من غير إسراف ولا تبذير — واما نوط الرزق وغيره بالكسب العملي فالشواهد عليه من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح كثيرة

منشور للامام يحيى حميد الدين

جاءنا من اليمن المنشور الآتي مطبوعاً في مطبعة (المقام الشريف) بصنعاء متوجاً بعد البسملة بختم الامام يحيى حميد الدين الرسمي الملقب فيه بامير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين ، وهو في دعوة المسلمين الى جمع الكلمة، والاعتصام بالكتاب والسنة، والاستمساك بالعترة الطاهرة ، وترك الخلاف والفرقة ،

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) ﴿ (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

الحمد لله الهادي الى الدين القويم وكل خير عميم ، بقوله عز وجل (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴿) والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ذي الخلق العظيم ، المبعوث رحمة للعالمين من رب العرش الكريم، بالشريعة السمحة الكافلة بخيري الآخرة والاولى ، القائل « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ـ المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى رأسه اشتكى كله وان اشتكى عينه اشتكى كله ـ يد الله على الجماعة ـ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ـ المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه ـ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » وعلى آله المخصوصين برعاية التقديم والتكريم ، قرناء الذكر الحكيم ، الذين ورد فيهم «اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي اهل بيتي إن اللطيف الخبير انبأني انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ـ أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى ـ احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي » وغير ذلك

من الاحاديث الكثيرة، والاخبار الشهيرة، وعلى أصحابه الذين قاموا بنصرته وبإيضاح طريقه المستقيم، وبذلوا أنفسهم ونفيسهم في مرضاة الرب العليم .

أما بعد فهذا بلاغ واف، وبيان شاف، أردنا به نصح اخوان الدين، وايقاظ همم المسلمين، وحررناه الى كل مطلع عليه من العلماء العاملين، واخواننا أهل الدين، وفقهم الله لصالح القول والعمل، وحرسهم بطاعته عن مزالق الزلل . وحياهم بشريف السلام، ورحمة الله وبركاته على الدوام

انه قد علم ما دهى الاسلام والمسلمين من داء التفرق والاختلاف، والمخاصمات التي أغلقت بها أبواب الوفاق والائتلاف، حتى فشل المسلمون وذهبت ريحهم وصاروا كأنهم أدنى عنصر في العالم غير مهاب الجناب، ولا مصون من الاغتصاب، الى أن طمعت في استئصالهم واخضاعهم الدول الاجنبية، وخصوصا العرب الذين هم منشأ هذا الدين ومبدأ ظهوره، وأفق تجليات نوره، وهم الذين أعز الله بهم الاسلام، وملكوا أكثر العالم وانفتحت لهم قاراته وحصين قصوره، لما كانوا عليه من التوحيد ديانة وسياسة وعلما وعملا، والتعاضد والتعاون لا يبغون عنه حولا، ولا يرضون سواه بدلا، حتى خضعت لهم الرقاب، وذلت لهم الصعاب، وضرب بهم الامثال، وبعدت بصولتهم الاجيال، وقد استبان في هذا القرن شؤم التفرق والاختلاف، وأنه السبب الوحيد لتمزيق الاجانب بلاد المسلمين ثم الاخذ والاختطاف، وانهدام ذلك المجد الشامخ، والعز الباذخ، وحل بكثير من المسلمين ذوي العقول عظيم التأسف والندم، ولكن بعد أن صاروا في أشراك الاقتناص وبعد زلة القدم،

وقد آن لنا معشر المسلمين أن ننظر لانفسنا بعيون الاستبصار، وأن نجيد آراءنا لما يكون به عزنا وشرفنا ورجوع أيامنا التي ارتقينا فيها صهوة كل عز وانتصار، وليس لنا الى ذلك من سبيل، الا باتباع ما أرشدنا اليه الرب الجليل، من الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق والتنازع واتباع صراط الله المستقيم . وترك اتباع السبل المتفرقة المضلة عن سبيله كما جاء في الذكر الحكيم . وادارة كل شئوننا على منهاج شريعة الله عبادة ومعاملة ودفاعاً، وكفى بهدي الله لنا وسيلة الى نيل كل مطلوب، ودفع كل مخوف مرهوب، ولقد قمنا مقامنا هذا الحرج طلبا لخدمة الله باصلاح ما نقدر عليه من أحوال المسلمين والدعاء الى الله وطاعته، بامتثال أوامره ونواهيه والانقياد لشريعته، وقد حصل

لنا في اكثر هذه البلاد المرام ، وترتبت الاعمال على مراضي الرب العلام ، ولم نزل نجدد الارشاد ، الى كثير من البلاد ، راجين الله تعالى أن يجمع كلمة المسلمين لما به حفظ دينهم وبلادهم ، وحوزتهم وعزهم وكيانهم، ولما كانت بلاد اليمن قطعة واحدة وأهلهامتحدو العنصر والديانة متفقو اللغة متقاربو الانساب من الاشراف والقبائل ، لا اختلاف بينهم في شيء ،فربهم واحد ونبيهم واحد، وكتابهم واحد،ودينهم واحد، بلا اختلاف يعول عليه الامن لا معرفة له بالشريعة ، ولا بواضح مناهجها الوسيعة ، وأما أهل الديانة والعرفان ، واولو العقول التي بها تعرف طرائق الاحسان . فهم يعرفون أن أهل القطعة المباركة اليمنية كاهل مدينة واحدة، ومع هذا فالواجب علينا جمع الكلمة، واتحاد الرأي وتوحيد الطريقة ، وعقد الولاء على الحقيقة ، حتى نكون كالجسم الواحد وكالبنان أوكالبنيان،كما وصف به الرسول صلى الله وسلم عليه وآله وصحبه اهل الايمان .

وقد عممنا دعوتنا هذه التي هي دعوة حق الى كل من بلغته، وحررنا هذا الكتاب مع فوره الى أهل جهاتكم وما والاها من العلماء الاعلام ، والرؤساء الفخام ، والمشائخ والاعيان ، ندعوكم بدعوة الحق الى ما أسلفناه في هذا الكتاب ، ونقول هلموا أيها الاخوان الى ما به عز الدنيا والدين ، والوصول الى الخير المستبين ، لنعمر أمور ديننا ودنيانا، على طريقة الاسلاف الذين هم اسوتنا ومقتدانا ، وليس المراد ملكا نشيده ، ولا مالا نستزيده، ولا جاها نستفيده، وانما المراد اجتماع المسلمين بالمحجة البيضاء والصراط المستقيم ،ونستقر كل بلاد بيد رؤسائها ،ونحيل اليهم مجرى أعمالها ومرساها، هلموا الينا للعمل بكتاب الله وسنة رسول الله والسلف الصالح: نحيي ما أحيا الله ، ونميت ما أمات الله ، نأمر بالمعروف ، وننهى عن المنكر المخوف، ونمنع التظالم، ونأخذ على يد الظالم، ونحقن الدماء، ونعمل بشريعة خالق الارض والسماء، ونجري الاعمال، على محور ارشادات ذي الجلال، فكل ما خالفها فهو الباطل المضمحل ، وما وافقها فهو الحق المستفحل، بارشادات الشريعة صلاح الدين والدنيا وقد خاب من عدل عنها. ولم يتم للسلف الصالح نصرة الدين وفتح الاقطار الشاسعة إلا بالعمل بارشادات شريعة الله

ونقول أيضاً أيها العلماء الاعلام ، أنتم المكلفون ببث ما علمكم الله

ونشره للناس ، وثمرة العلم انما هي العمل والارشاد الى ما به ذهاب الباس ، فقد أخذ الله عليكم ميثاقه الاكيد ، وألزمكم القيام بالتعليم والوعظ والنصيحة للعامة وارشادهم الى الخير والمزيد، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتخويف من عقاب الله، والانذار بسخطه ومقته على من أعرض عما أوجبه الله عليه ، ولم يوجب الله على العامة السؤال بقوله سبحانه (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) حتى أوجب عليهم البيان بقوله(واذا أخذالله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم(١) »هذا الله أحق ما أدي ٢)فشمروا كثر الله سوادكم عن ساق الهمة في هذا السبيل ، وبينوا وعظوا وانصحوا تفوزوا بالاجر الجزيل، واحيوا سنة السلف الصالح في هذا الجيل ، فقد قام بالدعوة الى آل محمد من السلف الصالح من به يقتدى ، ويقتفى أثره وبنور ارشاده يهتدى ، منهم الامام الشافعي والامام أبو حنيفة رضي الله عنهما .

واعلموا أن هذا الذي ندعو اليه مرغوب عند كل بني الانسان، خصوصاً عند الدول المتمدنة فهو من الامور الواجبة على الامم ، وخصوصاً الحكومة البريطانية ولا سيما بعد المساعدة (٣) لامور مهمة، مما تتقوى به هذه الدعوة المبنية على أساس متين ، فهي الدولة المتخرة بحبها للعرب ، واعانتها لهم في كل ما يتم به الارب، خدمة للانسانية ورعاية لحقوقها التي ترشد اليها الضمائر الوجدانية ،

وقد وصل الينا رؤساء البيضا (٤ في هذه الآونة وأعلنا لهم ماندعو اليه ،

---

(١) المنار : تتمة الحديث « شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم »

(٢) المنار هذا حديث آخر

(٣) يعني بهذه المساعدة — والله أعلم — تمكينه من نشر دعوته ورفع لواء امامته في البلاد المجاورة التي كانت قد قيدتها بالحماية ولعل سبب هذا الامل انه قد تم الاتفاق بينه وبين الدولة البريطانية وقد بلغنا انهم قد حذفوا من مواده كل القيود التي تنافي الاستقلال المطلق الا تقدمهم على غيرهم من الاجانب في كل مشروع او امتياز اقتصادي عند تساوي الشروط وان يتبع الامام البلاد التي كانت محمية الاستقلال الاداري تحت سيادته كحضرموت ولحج ، وسننشر نص الاتفاق متى جاءنا بعد العلم الصحيح بالتوقيع عليه ووضعه موضع التنفيذ (٤) البيضاء من بلاد اليمن بالقرب من حضرموت

وما نحرض الناس عليه ، وضربنا لهم الامثال ، بأحوال الجهات التى نفذت فيها أحكام ذي الجلال ، وما ضرب فيها من العدل والاحسان والامان ، وما ارتفع عنها من الفحشاء والمنكر والبغي والعدوان ، ثم كان عزمهم من لدينا متقلدين الطاعة ، منخرطين في سلك الجماعة ، ونحن ان شاء الله على أهبة ارسال شرذمة من الاجناد ، الى هاتيك البلاد ، لصلاح أحوالها ، ومحق أهوالها ، ونسأل الله تعالى أن يأخذ بنواصي الجميع الى مراضيه ، ويوفقنا الى سلوك السبيل الاقوم واجتناب معاصيه ، ويفتح لسماع نصيحتنا وارشاداتنا أسماع كافة الاخوان ، انه الكريم المنان ، فهذا ماندعوكم اليه ، ونأمركم به ، وهو معذرة الى الله ، وحجة عليكم عند الله (ان أريد إلا الاصلاح ما استطعت وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب) والسلام عليكم . بتاريخه في ٤ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤١ ه

﴿ اللورد فاروق هدلي وخوجه كمال الدين ﴾

ذكرنا في المجلد السادس عشر شيئا من خبر اهتداء هذا اللورد الانكليزي الى الاسلام وما كتبه في بعض الجرائد الانكليزية عن اسلامه وأما خوجه كمال الدين فهو رئيس الجمعية الهندية تدعو الى الاسلام في لندن ولها مجلة هنالك ويقال انه من المنتمين من شيعة ميرزا غلام احمد القادياني الذي ادعى انه المسيح المنتظر وأن الوحي ينزل عليه بذلك . وقد رددنا عليه في حياته ورد علينا في بعض كتبه واتباعه الآن فريقان غلاة ومعتدلون وسنتكلم عنهم في جزء آخر

وللجمعية خوجه كمال الدين أنصار في القطر المصري ينكرون أنه من مسيحية القادياني وجرى لنا مع بعض اصدقائنا منهم حديث اتفقنا فيه على أن نسأل الاستاذ كمال الدين نفسه عن ذلك ونعتمد ما يقوله وننشره ولم يتيسر لنا ذلك قبل سفره الى الحجاز . وهو قد كان كتب اليهم بأنه يريد الحج بصحبة اللورد هدلي وبمر بمصر فدعو الناس الى الاحتفال باللورد وصاحبه ، وألفت لذلك جمعية خاصة في القاهرة واخرى في الاسكندرية اشترك فيها كثيرون من جميع الطبقات العليا والوسطى واستقبلوا الضيفين أحسن استقبال وأدبوا لهما المآدب اللائقة بكرامة الضيف وكرم المضيف . واحسن مانشر في الجرائد بهذا الشأن وأقربه الى الفائدة ما كتبه أحد محرري جريدة السياسة وهذا نصه :

﴿ حديث مع رحمة الله فاروق جناب اللورد هدلي ﴾

لم تستقبل مصر رجلا منذ رجوع سعد باشا زغلول كما استقبلت بالامس حضرة المستر (جورج رولان السن دن) المشهور المعروف باسم اللورد هدلي والمعتنق للديانة الاسلامية تحت اسم رحمة الله فاروق

لقد غصت المحطات بالمستقبلين — من بور سعيد الى مصر والشعب يهتف مرحبا مستقبلا هذا الضيف الكريم . وهذا ما دعا كاتب هذه السطور لزيارة جناب اللورد الكريم زيارة انفرادية خاصة في منشية البكري حيث حل ضيفا عزيزا مع رفيقيه المحترمين خوجه كمال الدين مدير المجلة الاسلامية في لندن والمبشر المشهور المقيم في بلاد الانكليز يدعو الناس للدخول في دين الاسلام ، وجناب عبد المجيد مفتي الديار الانكليزية وشيخ جامع وكنج في ضواحي لندن

استقبلني جناب [illegible] يعلو رأسه الطربوش المصري الموضوع فوق شعر [illegible] لون وردي جميل على وجهه الابيض وعلى عينيه الزرقاوين المتحركتين كثيرا ثم نزلنا الى جنينة المنشية الواسعة وجلسنا نتحادث .

كنت أصغي الى حديثه وأنا أقول في نفسي ما السبب الحقيقي الذي دعا هذا الرجل الانكليزي المنحدر بنسبه من ملوك نورث ويلس — ما الذي دعا هذا الرجل الذي وقف شارل الثاني سنة ١٦٦٠ يعلق على صدر اجداده شارات البارونية ؟ ما الذي دعا هذا اللورد لاعتناق دين الاسلام ؟

لقد اجتهدت كثيرا أن أتدامل الى داخلية نفسه لعلي استكشف العاطفة النفسية التي دفعته الى الاسلام. لقد حادثته مليا ساعتين كاملتين فلم أشك بعدهما في أن الرجل اعتنق الاسلام نهائيا

ان اللورد هدلي لم يكن في حياته مسيحيا قط كما قال لي هو بنفسه وقد كان على مذهب الموحدين الذين يؤمنون باله واحد ويعتقدون ان المسيح نبي وهؤلاء

شيعة كبيرة في انجلترا وأميركا وهم الموحدون المشهورون

واللورد هدلي مهندس معروف وقد قص علي من حديثه ما يأتي قال :

« أنا مسلم منذ خمسين سنة ولكني لم اعتنق الاسلام رسميا الا في ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٣ وذلك لاسباب عائلية سأتي على ذكرها . وقد كنت في صغري أشك في أمور كثيرة في الدين المسيحي وكنت لا أعرف كيف أستطيع أن أومن بالمبدأ المسيحي القائل - اذا كنت لا تؤمن بألوهية المسيح فلا تنجو من عذاب جهنم الابدي - واذا لم تأكل جسد المسيح وتشرب دمه فلن تنجو أيضاً لذلك كنت في دخيلة نفسي ثائرا على الديانة المسيحية من السادسة عشرة من العمر

« وفي سنة ١٨٨٣ سافرت الى الهند الى مقاطعة كشمير لمشاريع هندسية وانشاء طرق وتعمير تلك الولايات على الطرق الحديثة الفنية . وهناك اجتمعت بصديقي الكولونيل .. (وطلب الي ان لا أذكر اسمه) الذي اهداني نسخة من القرآن الكريم . وكنت أجد في هذا الكتاب الشريف سماحة الدين الاسلامي المبني على الفطرة الطبيعية الصادقة التي تدفع الانسان الى الخير وتهاجم المنكر ما يوافق طبيعة نفسي ويلائم روحي . وكنت كلما قرأت في ذلك المصحف الكريم اكتشفت بنفسي انني مسلم دون أن يبشرني أحد بالاسلام ودون أن يدعوني أحد الى الاسلام . لذلك أحب أن يترك الانسان في مسألة الاديان الى نفسه ليختار الدين الذي يريده أو يوفقه وأنا أعتقد أن ثلاثة أرباع الناس في انكلترا هم مسلمون دون أن يشعروا أو يعرفوا ذلك . واذا سألت احدا ماهو دينك؟ فيقول لك أنا مسيحي واذا قلت له كلا فأنت مسلم بحسب اعتقادك يضحك منك قائلا كلا فأنا على دين المسيح

« أنا أؤمن أن لا اله الا الله وأؤمن أن محمدا وموسى وعيسى انبياء الله لا نفرق بينهم بحسب تعاليم القرآن . وأجد الدين الاسلامي دينا بسيطا يفهمه قلبي ويتفق معه عقلي ، لاني لا أستطيع أن أومن بما لا يفهمه القلب ولا يتفق مع العقل وقد خطر لي أن اعلن اسلامي منذ صغري لكني كنت مضطرا الى مراعاة عواطف السيدات المتقدمين في العمر الذين كنت من غير شك سأجرح عواطفهم ، وأكسر

قلوبهم اذا اعلنت أني خرجت عن دينهم الذي يعتقدونه ويعتقدون أن لا خلاص لمن لا يؤمن به . لكن في السنوات الاخيرة قبل الحرب مات جميع المتقدمين في السن من اقربائي . وفي ذلك الحين تعرفت بصديقي خوجه كمال الدين فكنا نتحادث ونتباحث كثيرا في امور الدين الاسلامي . ولا انكر أن له الفضل الاكبر في مساعدتي وارشادي لاعلاني الانضمام الى حظيرة الدين الاسلامي .

أما زوجي فقد توفيت منذ زمن طويل ولي أربعة اولاد لهم الخيار في اعتناق أي مذهب يشاءون .

«وقد كنت اعجب دائما بما كنت أقرأه عن ابطال الاسلام، وعن اولئك الافراد الذين خرجوا من الصحراء حفاة الاقدام فاستطاعوا أن يكونوا أعظم قواد العالم وأعدل قضاة الارض وأشهر المتشرعين على الاطلاق .

« وأني أشعر بديني الجديد وأشكر الله عليه فهو دين بسيط جدا مفهوم تماما، أعرفه كما هو وأ[illegible] روحي [illegible] وجداني .

وقد كنت عقدت النية على اداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي المصطفى في أوائل اعتناق الاسلام لكن الحرب العالمية الكبرى جاءت فجأة فاضطررت الى تأجيل زيارتي هذه الى هذه السنة »

وقد ذكر لي أنه هو أول من اعتنق الاسلام بين الانجليز وهو الآن رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في انجلترا وانه قد دخل الى حظيرة الاسلام منذ دخوله اليها نحو اربعمائة شخص من رجال ونساء من الانجليز ، أما هو نفسه فيعتقد اعتقادا ثابتا راسخا أن ثلاثة ارباع الناس في انجلترا هم مسلمون بأفكارهم ومبادئهم لكنهم لا يدركون ذلك ، ولاجل هذا هم لا يريدون ان يعترفوا به »

هذا هو خلاصة حديث اللورد هدلي . وقد اجتمعت بحضرته مرة أخرى فوجدت انه لا يستطيع ان يزيد شيئا على ما قال . فالرجل مفكر حر نبعت نفسه من تقاليد الديانة التي ربي فيها وتاقت نفسه الى مبدأ بسيط يوافق طبيعة روحه فوجد في بساطة الدين الاسلامي القائم على توحيد الله ضالته المنشودة فاعتنق

الاسلام وهو الآن سائر في طريقه الى بيت الله الحرام » ا ه

(المنار) لا يقرأ هذا الحديث أحد له قلب إلا ويشعر بأنه من املاء الصدق والاخلاص ، ولم نر خطأ فيه إلا قوله انه اول من اسلم في انكلترة . وقد يشك الملاحدة والنصارى الواثقون بدينهم في قول اللورد انه يعتقد أن ثلاثة ارباع الشعب الانكليزي مسلمون بفطرتهم كما يشك بعض المسلمين في صحة اسلامه هو — وعندنا أن هذا هو الحق اليقين من حيث ان الاسلام دين الفطرة وفي الحديث الصحيح « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه » واذا كانت التربية الانكليزية مبنية على مراعاة الفطرة ومنها استقلال الفكر فلا غرو اذا كان ثلاثة ارباعهم لا يصدقون تقاليد الكنيسة المبتدعة بعد المسيح عليه السلام بل يؤمنون بتوحيد الله وكون المسيح رسولا كسائر رسل الله كما قال عليه السلام « وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته » وهذا معنى اسلام [illegible] ولو تولى الدعوة الى الاسلام في انكلترة والولايات المتحدة الامريكية [illegible] يعرفون الاسلام معرفة صحيحة ربانية [illegible] السياسة والمبشرين المضللين الذين اوقعوا العداوة والبغضاء بين الاسلام وأوربة لدخل هذان الشعبان في دين الله افواجا . وكنا شرعنا في الاستعداد لذلك بمشروع الدعوة والارشاد ، والتزم العزيز عباس حلمي أعقل امراء الاسلام واعلام همة مساعدتنا على عملنا من حيث قاومنا بعض المسلمين الحاسدين ومقلدتهم حتى اذا ماذهب بنفوذه اقفلت مدرسة دار الدعوة والارشاد بدسائس الانكليز واغراء بعض البهائية والانكليز

وفاة رجل كبير ، ومحسن شهير ، هو الحاج مقبل الذكير

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الاستاذ الامام والفاضل الكامل الهمام العلامة النحرير والبدر المنير السيد محمد رشيد آل رضا رضي الله عنه وارضاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأزكا واشرف تحياته (أما بعد) فاني أعزيك باخيك الطاهر النقي ، والعابد التقى ، الناسك البرّ الاوّاه ، الباذل امواله في سبيل الله ، طلبا لرضاه ، الحاج مقبل بن عبد الرحمن الذكير طيب الله

ثراه ، وجعل جنة الفردوس مثواه ، فقد أجاب الداعي ، ولبى المنادي ، في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٤١ فأول ليلة قدم فيها على ربه هي ليلة سبع وعشرين من رمضان وهي ليلة القدر على أصح الأقوال وأشهرها وقد ناهز عمره ثمانين عاما ، وبارك الله في حياته ، فلم تلهه دنياه عما فيه رضى الله ، فكم ضعيف أعانه ، وملهوف أغاثه ، ومعسر يسر عليه ، وكان رحمه الله وصولا لأرحامه ، برًّا بأصحابه ، وله الآثار الجميلة الجليلة في البحرين وغيرها من عمارة المساجد ، وحفر الآبار ، والصدقات الجارية ، وله من الصدقات على عموم المسلمين ما يعجز عن القيام بمثله غالب الناس ، فقد أنفق كثيرا من أمواله على طبع الكتب العلمية وجعلها وقفا لوجه الله تعالى فمنها (أعلام الموقعين وحادي الأرواح) لابن القيم في ثلاثة مجلدات (وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) وبعض كتبه في خمسة مجلدات ، والتدمرية والحموية والصابونية وإثبات صفة العلو للإمام الموفق ، ومنها شرح الإقناع وشرح المنتهى في أربعة أجزاء كبار وكلاهما في فقه الحنابلة وهذه طبعها ووقفها لما كان في جزيرة البحرين

عاد قبل وفاته بسنوات قليلة إلى مسقط رأسه وبلد أسلافه عنيزة أم بلدان القصيم ولم يثن عزمه عن عمل الصالحات والمسابقة إلى الخيرات ما كان يكابده من آلام الكبر وضعف الحواس فبنى في بلده مدرسة ودارا لمن يكون مدرسا في تلك المدرسة وأمر أن يطبع على نفقته كتاب (اللطائف) لابن رجب (والبحور الزاخرة) للسفاريني وقد بوشر بطبعهما في الهند ، فجاءت المنية قبل تمام الأمنية ، ولنا في ذريته وأقاربه عظيم الأمل أن يسيروا على منهاجه لأنهم أهل بيت راسخ في المجد ، عريق في الكرم ، وكان رحمه الله سلفي الاعتقاد محبا لنشر السنة ، وقد قرأ طرفا من فقه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في أوائل عمره فرحمه الله تعالى برحمته الواسعة وأعظم فيه لأجر (إنا لله وإنا إليه راجعون) تسليما لأمر الله ورضى بقضائه ، وحسبنا الله وكفى . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ٢٤ شوال سنة ١٣٤١ كتبه

محمد بن عبد العزيز المانع

(المنار) نسأل الله تعالى أن يبارك في عمر أخينا الناعي قاضي قطر العادل وأن يتغمد أخانا المنعي برحمته ورضوانه ويجمعنا به (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وأن يحسن عزاء أهله وولده ، ويوفقهم لاقتفاء أثره